فضيل ناصري

الـــزواج بالأجنبيـات في الخطاب الـديني الـيهـودي



دراسة تحليلية نقديـة محايـثة

أفريقيا الشرق

الـــزواج بالأجنبيـات في الخطاب الـديني الـيهـودي

عزيزي القارئ، في هذا الكتاب تجد ما يدلك على نظرة اليهود الجمعية إلى الآخر، وبخاصة ما تعلق منها بالآخر الصهر. وهي نظرة مشكلة ومعقدة؛ يتجاور فيها الحَيف كما الإنصاف، الحيف الناهض على تجربة اليهود في التاريخ، والإنصاف الذي يعضده بعض الحق الدال على الله في الدين اليهودي، والذي نتصور أن يد الحاخامات وكتبة التوراة لم تطله بالتغيير والتلبيس.

وقد حاولنا أن نستل هذه النظرة من العهد القديم بوصفه نصا مركزيا ومؤسسا من غير تقويل منا إياه أو تقول عليه، بما يجعل هذا الكتاب الذي بين يديك مقاربة جادة وجديدة تقطع مع الصور النمطية التي رسمتها الذاكرة الجمعية للمسلمين عن اليهود، وتسعى إلى بناء صور بديلة جديدة ومنصفة.



Frederick Arthur Brigdman
(1847 - 1928)
Femmes dans un intérieur oriental

ISBN 9981-25-928-7



الـزواج بالأجنبيـات في الخطاب الـديني الـيهـودي

المؤلف : فضيل ناصري

عنوان الكتاب : الـزواج بالأجنبيات في الخطاب الديني الـيهـودي

رقم الإيداع القانوني: 2013 MO 2814
ردمك : 7-928-25-9981-978
أفريقيا الشرق - المغرب
159 مكرر، شارع يعقوب المنصور - الدار البيضاء
الهاتف : 04 95 25 22 05 - 13 98 25 22 05
الفاكس: 20 29 25 22 05 - 80 00 44 22 05
مكتب التصفيف التقني : 39، زنقة علي بن أبي طالب
الهاتف: 54 / 53 67 29 22 05 - الفاكس: 72 38 48 22 05
البريد الإلكتروني : E-Mail : africorient@yahoo.fr
www.afrique-orient.com

فضيل ناصري

الـــزواج بالأجنبيــات في الخطاب الـديني الـيهـودي

دراسة تحليلية نقدية محايثة

أفريقيا الشرق

إهـــداء

إلى اللذين كان فضلهما علي سابغا،

إلى اللذين قال في شأنهما جل من قائل:

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

أمي الحنون مدرستي الأولى التي تعلمتُ منها الشيء الكثير،

أبي الحنون العالم الذي ما فتئ يقوم لساني كلما لحنتُ فجرحتُ طبلة أذنه،

إلى زوجي المصون لطيفة بوطريق حفظها الله إلى الذي يملأ علينا البيت شغبا جميلا ابني نصر الدين أنبته الله نباتا حسنا

إلى إخواني محمد، عبد الله، علي، فاطمة، عبد الرحمان،

إلى هؤلاء جميعهم أهدي ثمرة هذا العمل، فإليهم وحدهم بعد الله يعود الفضل فيما صرتُ إليه.

فَضيل

تقديم

يعالج هذا البحث موضوع الآخر في المجال التداولي اليهودي بشكل عام، وموضوع الزواج بالأجنبيات في العهد القديم بشكل خاص. وقد قارب المؤلف في الفصل الأول من هذا الكتاب ثنائية اليهودي الأصيل والغريب الدخيل. فاليهودي حسب عدد كبير من الدارسين هو من ولد لامرأة يهودية أو تهود حتى وإن كان لا يمارس شعائر وطقوس الدين اليهودي.

والاعتبار العرقي العنصري هو المعتمد في تعريف وتحديد مفهوم اليهودي وليس الاعتبار الديني. ولهذا فإن اليهود يعتبرون الأغيار أو الغوييم درجة دنيا من البشر، وينعتونهم بالدونية والحقارة ويخرجونهم من دائرة ما هو إنساني، وهم موضوع استرقاق واستعباد من قبل اليهودي الأصيل. وإلى جانب مفهوم الغوي أو الغوييم ، هناك مفهوم شيكتس في لغة اليديش الذي يعني حيوانا قذرا أو مخلوقا كريها.

وقد عالج الباحث موضوع هذا الفصل انطلاقا من ثنائيات منها:

أبناء الحرة سارة / أبناء الجارية هاجر

المقدس / المدنس. . .إلخ.

أما الفصل الثاني والذي خصصه المؤلف لموضوع الزواج بالأجنبيات في العهد القديم، فيبدأ بالحديث عن التفاضل الذي يقيمه اليهود بين الرجل والمرأة؛ فاليهود ينظرون إلى المرأة بصفة عامة، يهودية كانت أم غير يهودية، نظرة دونية ويعتبرونها نجسة ومدنسة وتافهة وأنها ليست حكيمة، ولذلك فهي لا ترث وشهادة مائة امرأة لا تعدل شهادة رجل واحد !!

ووظيفتها الوحيدة هي الإنجاب.

أما المرأة الأجنبية فوضعها أسوء وأكثر قتامة وسوادا. فكل النساء غير اليهوديات عاهرات فاسدات وهن بمنزلة البهيمة، واليهودي لا يخطئ عندما يعتدي على عرض الأجنبي فيزني بامرأة أجنبية، بل إن اليهودي له الحق في اغتصاب النساء الاجنبيات دون أن يكون قد اقترف إثما أو ذنبا، وربما كان ذلك مندوبا أو واجبا !! وحظر الزواج بالأجنبيات مرده إلى نظرة اليهود إلى الأغيار والأجانب، وهي نظرة قائمة على الدونية والاحتقار، فهن، أي الأجنبيات، دنسات وعاهرات ووظيفتهن غواية الأطهار من بني إسرائيل. ونجد النصوص التي تقول بحرمة الزواج من الأجنبيات تتركز على الخصوص في سفر عزرا ونحميا من أسفار العهد القديم.

ويرجع المنع والحظر إلى أمور عديدة منها:

الخوف من الارتداد عن الدين

والخوف من التشويش على صفاء العرق اليهودي

ومنها ما يرتبط بنظرة اليهود إلى الغوييم

ولهذا لا يعترف القانون الإسرائيلي بالعلاقات الجنسية التي تقوم بين اليهود والأغيار، سواء كانت شرعية أو غير شرعية. وشرع الله الحنيف بريء من هذا المنع والحظر، وأكابر بني إسرائيل وأنبياؤهم تزوجوا من الأغيار، والمجتمع الإنساني كله يقوم على الاختلاط والامتزاج. وهناك نصوص في العهد تحث على الإحسان إلى الأغيار ومعاملتهم معاملة قائمة على الرفق والعدل والإنصاف، ولكن تعرض نصوص اليهود الدينية إلى التحريف والتبديل هو الذي كان وراء هذه الازدواجية في الخطاب وفي النظرة إلى الأغيار.

وعموما، فقد بذل الباحث مجهودا طيبا في هذه الدراسة ورجع إلى عدد كبير من المصادر والمراجع القديمة والحديثة، وأحسن الاستشهاد والتنصيص ولم يقصر في المقارنة والتعليق. ولهذا فإن الكتاب يعد لبنة تغني المكتبة العربية بشكل عام والمكتبة الدينية بشكل خاص. والله الموفق والهادي إلى الصواب.

رئيس الجمعية المغربية لتكامل العلوم

د. أبو بكر العزاوي

مقدمة

يعتبر موضوع الزواج بالأجنبيات في العهد القديم من المواضيع المثيرة للجدل، وهو كذلك بالنظر إلى تراوحه بين مفاصلتين اثنتين متناوحتين؛ إحداهما تنصبغ بكل ما يمت بسبب إلى الاستغلاق والاستشكال، والأخرى تنزع إلى البيان والوضوح. وبين المفاصلتين تبرعمت خيوط رفيعة مستدقة يكفرها التسرع تارة والمسبقات المعيارية التي ديدنها التصيد تارات كثيرة.

وإذا قر في ذهننا أن الموضوع بهذه الأهمية وبهذه الخطورة، فقد عمدنا إلى مقاربته متوسلين في ذلك عدة منهجية متنكبة عن التسرع، ومتجردة من المسبقات، وبصيرة بالمحاذير التي تثلب البحث العلمي، ما وسعها التنكب والتجرد والبصر.

ولا مراء لدينا أن نظرة النسق الثقافي اليهودي، إن صح أن يكون واحدا لا أنساقا متعددة إلى الزواج باللواتي من الأغيار، تشكل أكمة تثوي خلفها نظرة هذا الواحد المتعدد إلى آخره / غيره المطلق ذكرا كان أو أنثى، لما ينعقد بين الطرفين من جم الوشائج والصلات.

ولعل ما حفزنا على ارتياد آفاق هذا الموضوع بالبحث وتقليب النظر، وتمحيص القول؛ هو إيقاننا واعتقادنا الجازم في أن آخر أي نسق ثقافي ليس سوى «شريك» موضوعي يعسر القفز عليه وتجاهله لما يُتحدث عن بناء المشترك / السواء الإنساني؛ إذ يستلزم البناء الذي ميسمه ما هو جمعي وإنساني الإقبال على الآخر / «الإنسان» ومد جسور التواصل والحوار معه، لا إقامة جدران العزل الثقافي التي تحمل على الصدود والازورار غير المبرر.

ثم إننا لا ندعو إلى استجداء التحاور ولا إلى استخذاء المحاوِر، وإنما نتغيا في بحثنا هذا لفت النظر إلى ضرورة معرفة الآخر المعرفة الحقة القمينة بإقامة الحوار الناهض على الندية والرؤية الواضحة والقاطع مع استرخاص الحقوق والمظالم.

وبعد فهذا هو الإطار النظري العام الحافز الذي تنطلق منه وتنسلك فيه وترومه دراستنا التي جعلناها تمهيدا وفصلين اثنين وخاتمة. عمدنا في التمهيد إلى شرح ما نخال أنه يغمض على غير المتخصص من مركبات اسمية حواها العنوان الذي اجتبيناه عتبة أولى ورئيسة لعملنا.

أما الفصل الأول فاتخذنا له عنوانا هو: اليهودي «الأصيل» والغُوي «الدخيل»، التعالقات والتواشجات، وجعلناه مباحث ثلاثة نبزنا أولها: من هو اليهودي؟ ورصدنا فيه مختلف التحديدات والتعاريف وانتهينا إلى أنها مسكونة بالهوس السلالي الإثني المتطهر.

ومفهوم الغُوي / الأجنبي دعونا المبحث الثاني، وفيه حاولنا تقرير ماهية هذا الأجنبي كما حددتها الثقافة اليهودية دونما تقول منا أو تحوير أو اعتساف في التأول ممجوج مستقبح.

وفي المبحث الثالث من الفصل عينه تناولنا بالدرس والتحليل صورة الغُوي في التداول اليهودي في مطلبين اثنين؛ أحدهما عمل على لم واستجماع عناصر الخطاب المجحف له، من بطون الأسفار، والكتب والدراسات والمقالات المعلقة والموازية. ورأينا أن هذا الخطاب ينزل بآخره إلى حضيض الحقارة والضعة والبهيمية.

وثانيهما رصد تلك الإلماعات وذلك الحق الذي انتصف للأجنبي وعده واحدا من أفراد الشعبي الإسرائيلي له ما لهم وعليه الذي عليهم حتى لا يكاد ينماز عنهم في شيء.

وأما الفصل الثاني فعنوناه بالزواج بالأجنبيات في العهد القديم، وجعلناه خمسة مباحث يأخذ بعضها برقاب بعض ويُسْلم المتقدم منها إلى العاقب.

سمينا أول الخمسة أهمية الزواج لدى اليهود وفي عملنا على تبيان الوضع الاعتباري الذي يحوزه ويحظى به الزواج في المنظومة الثقافية اليهودية، والذي تجلوه فَرْضِيَّتُه ونظرة الإكبار والتبجيل.

وقاربنا في ثانيها وضع المرأة في التداول اليهودي، وكان هذا في مطلبين اثنين؛ أحدهما أفردناه للحديث عن المرأة اليهودية «الأصيلة»، وألمحنا فيه إلى أنها في وضع لا تحسد عليه؛ فهي متضعة وثانوية، وأصل الخطيئة، كما أومأنا إلى أن

الوجه الوحيد والأكثر تكريما للمرأة يتصل باعتبارها زوجة وبطنا تنجب الذرية العبرانية.

والآخر خصصنا فيه المرأة الأجنبية / «الدخيلة» بالحديث، وجلونا فيه أن منظار الذهنية اليهودية لا يكاد يرى في المرأة «الأخرى» سوى الدنس والسأم والغواية والبهيمية، أو هكذا أريد لهذا المنظار أن يكون.

أما المبحث الثالث فتناولنا فيه أحكام حظر الزواج بالأجنبيات ورأينا أنها تنهض على الصورة النمطية التي خطتها ورسمتها الذهنية اليهودية وبخاصة الحاخامية، لا شرع الله الحنيف السمح.

وفي المبحث الرابع من الفصل نفسه، جردنا زيجات لشخصيات يهودية وسمناها بالعظمة، وقر لدينا وتأكد أنه إذا صاهر خاصة بني إسرائيل من الأنبياء وغيرهم الآخرين وأمعنوا في ذلك أيما إمعان فمصاهرة السوقة منهم للأغيار تظل من باب أولى.

وناقشنا في المبحث الأخير مقولة صفاء بني إسرائيل، وأوضحنا أنها منافية لسنن الاجتماع الإنساني، وأنها متهافتة، وأن السيد الرب ما كذب لما قال عن أورشليم: «أبوكِ أموري وأمك حثية». وانتهينا بعد هذين الفصلين إلى خاتمةَ ضمناها أهم الخلاصات والنتائج.

تمهيد

نلفي أنفسنا في هذه التوطئة العجلى مضطرين إلى إضاءة المركبات الاسمية التي اتخذناها عنوانا لبحثنا، أو إضاءة ما قر في ذهننا أنه يحتاج إلى شرح وتوضيح.

أما الزواج فمعلوم أنه تلك العلاقة الشرعية الضرورية والاستلزامية التي تنعقد بين ذكر وأنثى لأجل رأب صدع حاجة كل منهما إلى الآخر، ولأجل تحقيق غريزتي الأبوة والأمومة لدى كل منهما.

وأما مفهوم «الأجنبي» ويُنْبَزُ في التداول اليهودي «الغُوي» أو «الغير»، فينصرف إلى مطلق أغيار اليهود، أي إلى كل من هو غير يهودي؛ مسلما كان أو مسيحيا، أو بوذيا، أو عبثيا حتى[1]، وهذا المفهوم مركزي ويحوز وضعا اعتباريا خاصا، ونلفت النظر هنا إلى هاته الاعتبارية يعتورها الكثير من التلبيس والغموض، سنجلوه فيما يستقبل من البحث.

وأما ما يتصل ب «العهد القديم» فنومئ إلى أنه نسختان؛ «النسخة العبرية وتتكون من تسعة وثلاثين سفراً، والنسخة

---

1 - انظر المبحث الثاني من الفصل الأول

اليونانية وتسمى الترجمة السبعينية، وقد أخذت هذه من النسخة العبرية، لكنها تحتوي على أكثر من تسعة وثلاثين سفرا، إذ تحتوي على أربعة عشر سفراً آخر تطلق عليها الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية: اسم الكتب القانونية الثانية (...) أما ترتيب الأسفار فهو يختلف في النسخة العبرية عنه في السبعينية، فالنسخة العبرية تقسم الأسفار المقدسة إلى أقسام ثلاثة بحَسْب أهمية تلك الكتب لدى يهود فلسطين:

- القسم الأول: وهو أسفار موسى الخمسة واسمها التوراة، وتتضمن (...) التكوين، الخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، وهذا القسم يتمسك به كل اليهودي على اختلاف مذاهبهم وأحزابهم حتى جماعة السامريين.

- والقسم الثاني: الأنبياء الأولون وهم: يشوع، القضاة الأول، والثاني، وصمويل الأول والثاني، والملوك، ثم الأنبياء المتأخرون وهم؛ إشعيا، إرميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجاي، زكريا، ملاخي.

- والقسم الثالث: يسمى الكتب، وهذا القسم لا يرقى في أهميته لدى اليهود إلى القسم الأول أو الثاني، ويتكون من الأسفار التالية: المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد الأناشيد، راعوث، المراثي، الجامعة، إستير، دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول والثاني.

أما الترجمة السبعينية فترتيب الأسفار فيها هو الترتيب نفسه عدا أنها تسمي صمويل الأول والثاني؛ الملوك الأول الثاني، ثم تضيف الثالث والرابع إلى سفري الملوك، وإلى

جانب هذه الأسفار التسعة والثلاثين نجد الأسفار التالية وقد كتبت أصلا باللغة اليونانية: طوبيا، يهوديت، باقي سفر إستير، حكمة سليمان، حكمة يشوع بن سيراخ، باروخ، رسالة إرميا، صلاة عزريا، نشيد الفتية الثلاثة؛ سوسنة، و بال، والتنين، صلاة مَنَسَّى، الأول والثاني مكابيين»[2].

وأما الدراسة فلا يخفى على القارئ العادي لا الحصيف أنها تقنية أو آلية بحثية تتوسل في مقاربة مواضيع وإشكالات ذات طبيعة نظرية أو تجريبية، كما لا يخفى عليه أن التحليل والنقد، كما الوصف من ملزوماتها.

ويجمل بنا في هذا المستوى أن نشير إلى أن التوصيف الذي أضفينا على دراستنا [محايِثة] قد استعرناه من حقل الدراسات الأدبية وبخاصة المناهج الشكلية والبنيوية التي تقول بمبدأ التحليل المحايِث، والذي ديدنه «إن كانت للنص حياة مًّا فهي حياته الداخلية»، أي إن تحليلا بهذا الاسم يقطع ما وسعه ذلك مع الشروط الخارجية للنص ويكتفي ببنيته الداخلية.

ولا ندعي لأنفسنا أننا سننضبط لشروط «المحايَثة» انضباطا صارما وكليا، ولكن نقطع عهدا للقارئ، وعلى أنفسنا، أن تركيزنا واهتمامنا الأكبر سيكون موجها ومنصبا على نص اليهود «الأول» و«المؤسِّس»؛ أي الكتاب المقدس. وبعد هذا لا ضير يثلب عملنا إذا عمدنا إلى دراسات ومؤلفات أخرى

2 – معجم اللاهوت الكتابي، أشرف على الترجمة ونظمها علميا: نيافة المطران أنطونيوس نجيب، دار المشرق، بيروت، [ط.3]، 1991م، ص.9 و10، وللمزيد من التفصيل كذلك عد إلى كتب المداخل.

خارج الكتاب المقدس، نقبس منها لنعضُد دعاوانا وأطروحاتنا النظرية.

ولا نفشي سرا إن قلنا إن «غير اليهودي» أو الأجنبي [امرأة كان أو ذكرا]، هو محور بحثنا الرئيس، وكذا إن قلنا إننا اخترنا البحث في هذا الموضوع عنوة ولحاجة في أنفسنا سنقضي جزءا منها في هذا البحث والأجزاء الأخرى نعتزم قضاءها في بحث آخر معمق ومفصل والذي نقترح تسميته منذ الآن «الآخر في المجال التداولي اليهودي».

الفصل الأول

اليهودي «الأصيل» والغُوي «الدخيل»:

التعالقات والتواشجات

المبحث الأول : مفهوم اليهودي

المبحث الثاني : مفهوم الغُوي/الأجنبي

المبحث الثالث : صورة الغُوي في التداول اليهودي

المطلب الأول : الخطاب المجحف في حق الغُوي

المطلب الثاني : الخطاب المنصف للغُوي أو بعض الحق الذي في التوراة

1 - المبحث الأول : مفهوم اليهودي

لا شك أن الناظر في ملفوظ «يهودي» يَحزِرُ بديهة أن الأمر ينصرف إلى معتنق الديانة اليهودية دون غيره ممن اختار ديانات أخرى. لكن نستدرك ونقول إن الأمر ليس بدهيا، ثم إن مفهوم اليهودي يكتنفه الكثير من اللبس والغموض يتأبى معه عن الحصر والتحديد.

ولنجلو جيدا أن مفهوم «اليهودي» إشكالي بامتياز، وليس بمُكنتنا أن نتحدث عن اعتبار واحد في تحديده هو الدين، وإنما هناك اعتبارات جمة ترفده، نسوق القصة التالية: «(...) وكان يفتاح الجلعادي (...) ابن امرأة بغي ولدته لجلعاد ثم ولدت له زوجته [اليهودية عرقا بالضرورة بنظرنا] بنين، فلما كبروا طردوا يفتاح، وقالوا له: لا ميراث لك في بيت أبينا لأنك ابن امرأة غريبة»[3].

3 - القضاة، 11: 1، 2.

يتضح من خلال هذا النص / القصة أن ابن المرأة الغريبة لا يرث[4]، ونحن إذ نقول الغريبة نعي ما نقول ونقفز عنوة على التوصيف الذي وصفها به كتبة هذا السفر [كونها بغيا] لأننا لا نطمئن إليه ويبدو أنه ملفق مكذوب، أو لنقل إنه صورة نمطية عن الأجنبيات، لأن «يفتاح» هذا وإن اعتنق اليهودية ودان بها سيمنع حتما من حقه في الإرث لأنه من أم غير يهودية عرقا وبيولوجيا، وكلنا يعلم أن اختلاف العرق مانع من موانع الإرث في اليهودية[5].

ولا يعتسف الباحث عبد الوهاب المسيري حين يحد اليهودي بقوله: إنه «من ولد لأم يهودية أو تهود»، ثم إن من يولد لأم يهودية يظل يهوديا حتى ولو لم يمارس تعاليم الدين اليهودي[6]، أي إن الاعتبار العرقي في المحصلة الأخيرة وليس الديني هو الوازن والعمدة في هذا التعريف. ويتساوق هذا، ولا يشتط عن الباطل الذي ألبِسَهُ الحق الكامن في نص اليهود المؤسس.

فاليهود الذين يخالفون القوانين ويمرقون من ملتهم حتى، لا يفقدون انتماءهم وهم يظلون دوما يهودا بنظر جوزيف

---

4 - الجنس عند اليهود وأخبار النساء الصالحات والفاسدات من بني إسرائيل، أحمد أحمد علي السقا، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، [ط.2]، 2004، ص.191.

5 - نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، أبريل 2000م، ص.187.

6 - من هو اليهودي؟، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، [ط.1]، 1418هـ / 1997م، ص.31، وانظر أيضا مفاهيم تلمودية، نظرة اليهود إلى العالم، عبد المجيد همو، مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي، الأوائل، [ط.1]، 2003م، ص.190.

فلافيوس، أما الأجانب فهم كذلك وإن اهتدوا [7]. إن المهتدي درجة ثانية ولا يُقدم على اليهودي عرقا، فهو لا يستطيع أن يقاضي إلا مهتديا آخر مثله، لا إسرائيلي الأصل والمنبت[8]، وجُماع القول إنه الهوس السلالي[9] الذي يحكم نظرة اليهود إلى ذاتهم الجمعية، ويذهب الباحث عبد الوهاب المسيري إلى أن موسى هس (1812-1875) هو أول من طرح تعريفا لليهود على أساس بيولوجي عنصري حين ذكر أن العرق اليهودي من الأعراق الرئيسة في الجنس البشري، وأنه حافظ على وحدته رغم كل التأثيرات، فكان بذلك نقيا عبر العصور[10].

أما المشرع الإسرائيلي اليوم فيسبغ صفة اليهودي على «كل شخص ولد من أم يهودية أو اهتدى إلى اليهودية ولا ينتمي إلى ديانة أخرى»[11]، ويظهر أن الجملة «اهتدى...» تهذب التعريف وتخفف من حدته ذات البعد العنصري العرقي، وتثوي في التعريف مسألة عدم صفاء وخلوص اليهود التي يعيها ساسة إسرائيل قبل غيرهم، ولنا كرة إلى مقولة الصفاء

---

7 - اليهودية والغيرية، غير اليهود في منظار اليهودية، ألبيرتو دانزول، ترجمة د.شهرستان ماري، دار الأوائل، دمشق، [ط.1]، ص.136.

8 - المرجع نفسه، ص.104.

9 - المرجع نفسه، ص.139.

10 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد، عبد الوهاب المسيري، [ج.2]، دار الشروق، القاهرة، [ط.1]، 1999م، ص.19.

11 - التمييز ضد غير اليهود في (إسرائيل) مسيحيين كانوا أم مسلمين، سامي عوض الذيب أبو ساحلية، ترجمة: د.ماري شهرستان، الأوائل، [ط.1]، تموز 2003م، ص.32، وانظر أيضا الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، إسرائيل شاحاك، ترجمة رضا سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، [ط.8]، 2004م، ص.22 .

هاته التي سنفرد لها مبحثا خاصا[12] في الفصل الثاني من عملنا هذا مفصلين فيها القول ومحصينه ما وسعنا ذلك.

ومن ملزومات هذا «اليهودي» في التداول اليهودي الرفعة والسمو والطهرانية من كل أمر سلبي وشائن، فروحه [أي اليهودي] تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من الأب، وكما أن الإنسان يعلو على البهيمة، كذلك اليهود وحدهم أرفع شعوب الأرض[13]، وهو الشيء نفسه الذي يقول به موسى بن ميمون صاحب «دليل الضالين» إذ يذهب إلى أن الله نفخ في كل كائن بشري نفخة الحياة، أي الروح، والتي هي النفس، أما فيما يتصل بالشعب اليهودي، فلقد أودعت فيه نفس إضافية هي النفس الإلهية Nefech Alohit أي إن كل يهودي على حد تعبير ابن ميمون يمتلك نفسين تحت تصرفه[14]، وبذلك يفوق جميع بني البشر ويرتاد مصاف الملائكة ويتجاوزها ليتحد مع الذات الإلهية!!

وفضلا عن هذا التعالي الكلي لليهودي عمن ليس كذلك فهو يبُذّ غيره في ما يمكن أن يصله هذا الغير بفضل كسبه في الحياة، إذ هو وحده يتسم بالإبداع والمقدرة على الانسلاخ من مجتمع الأغيار، وهو بعد يدافع عن نفسه ضد العنف، لكنه لا يرتكب البتة العنف ضد الآخرين[15]!

---

12 - هو المبحث الخامس.

13 - اليهودية، عبد الفتاح حسين الزيات، مركز الراية للنشر والإعلام، [ط.1]، 1998م، ص.50.

14 - دليل الضالين، موسى بن ميمون، نقلا عن: اليهودية والغيرية، غير اليهود في منظار اليهود، مذكور، ص.11، وانظر أيضا: مقارنة الأديان 1: اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، [ط.10]، 1992، ص.272 و273.

15 - من هو اليهودي؟ مرجع مذكور، ص.10.

وندعي من جانبنا أن مقولة الأفضلية مشتركة بين جميع «الجماعات اليهودية» كما يحلو للباحث عبد الوهاب المسيري أن يدعوها، فهذا شاعر يهودي مغربي مجهول يُفهم من حديثه، وهو يستغيث بالله لأجل ما حل باليهود المغاربة، أنهم أبناء الله وأحباؤه، يقول في قصيدة عنوانها: «نَبْكِي ونُوح»:

«الله يا ربي آش هاذ الجمرة   سلطت على ولادك

(......)

يا الله العالي تحن منا   وتقادي جميع عديانا

وفي مدينة السلام تجمعنا   ويفرحوا تم إسرائيل كلهم

حتى يتقاضاوا جميع عديانا» [16]

ووجه الشاهد عندنا هنا لفظة «ولادك»، ويقول آخر في قصيدة بعنوان «درجوع الله»:

«يا يشرائيل ولاد الحرار   طلبوا ربي الجبار» [17]

ووجه الشاهد عندنا في هذا البيت هو التركيب الإضافي «ولاد الحرار»، الذي يحيل على المقولة «الثقافية» المعروفة التي فحواها أن اليهود أحرار وأن غيرهم عبيد وأبناء الجواري!!

وفي السياق نفسه يشعر آخر في قصيدة له بعنوان «همان» ويقول:

---

16 - نماذج من شعر الملحون المغربي بالعربية اليهودية، د.عبد العزيز شهبر، في مجلة كلية الآداب بتطوان، [ع.6]، 1993م، ص.100 و101.

17 - نماذج من شعر الملحون المغربي..، ص.102.

«اسم الخلاق القيوم أول ابتداءنا
شكرنا لاسمه ملزوم على ما اعتدنا
دايم ارتضانا من دون القومان» [18]

وفي ختام هذا المبحث لا نتنكب عن الصواب إن قلنا إن: «اليهودي» الذي تتحدث عنه التعاريف والأبيات الشعرية التي أوردناها يظل محض وهم وافتراض لا حقيقة وواقعا، لأنه باتصافه بكل إيجابي خَيِّرٍ، وتنزهه عن كل سلبي شرير يسمو عما هو إنساني ويوغل في الطوباوية والمثالية التي يعسر تحققها، أضف إلى ذلك أن اعتبار النسبة للأم محددا مهما في ماهية «اليهودي» يجعل الأمر مستشكلا وشائكا، لأنه ليس بوسعنا بمقتضى هذا المحدد، أن نخلع صفة اليهودي على بعض خاصة بني إسرائيل، بَلْهَ سوقتهم، فسليمان بالنظر إلى هذا المقتضى ليس يهوديا خالصا، ولا رحبعام الذي أمه عمونية!!

2 - المبحث الثاني: مفهوم الغُوي/الأجنبي

ينعت الآخر في التداول اليهودي بمسميات عديدة أهمها وأشهرها: «الغُوي» وتجمع في العبرية على «غُوييم» ويقابلها في العربية «الغير» وتجمع على «أغيار»، و«شايغتس»، و«شيكتس» إذا أرادوا الآخر المذكر، و«شيكسا» إذا هم أرادوا الآخر المؤنث، أو «النوحريم».

---

18 - المرجع نفسه، ص.93 و94.

ونذكر ثانية بأن مفهوم «الغُوي» جميع غير اليهود[19]، وتحبل هذه المسميات جميعها بحَمولة ثقافية مقذعة وقادحة في شخص هذا الآخر / غير اليهودي وتدليلا على زعمنا هذا نسوق جملة تحديدات تُسْلِمُ إلى صحته وقراره.

فالغُوييم في الذهنية اليهودية تعني تارة العدو العالمي المكروه، وطورا السعادين الحليقة المحتقرة، والحبيبات البشرية أو قطيع الأغبياء[20]، و«غُوييم»، كما أشرنا صيغة جمع للكلمة العبرية «غُوي» التي تعني «شعبا»، أو «قوما» ما، «(...) وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود وعلى غير اليهود، ولكنها بعد ذلك استخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها (...) وقد اكتسب الكلمة إيحاءات بالذم والقدح، وأصبح معناها «الغريب» أو الآخر، والأغيار درجات أدناها العكوم أي عبدة الأوثان والأصنام، بالعبرية عوبدي كوخافيم أومزالوت: أي عبدة الكواكب والأفلاك السائرة، وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان أي المسيحيون والمسلمون، وهناك أيضا مستوى وسيط من الأغيار «جيريم» أي المجاورين أو الساكنين في الجوار مثل السامريين»[21].

يتضح من هذا الذي أورده الباحث عبد الوهاب المسيري في موسوعته أن كلمة «الغُوي» وهي الأكثر جريانا واستعمالا

19 - للمزيد من التفصيل، ينظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك، ترجمة، حسن خضر، سيناللنشر، القاهرة، [ط.1]، 1994م، ص. 143.

20 - التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق سهيل ديب، دار النفائس، بيروت، [ط.1]، 1392هـ / 1972م، ص. 24.

21 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع مذكور، [ج.5]، ص. 240.

في المنظومة الثقافية اليهودية عرفت ما يسمى في الدراسات ذات الصلة بفقه اللغة وصناعة المعجم «تطورا دلاليا» اتجه مما هو عام جدا إلى ما هو خاص جداً، ونلحظ أن تقسيم الأغيار إلى درجات عليا ودنيا يُلَبِّسُ كثيرا، لأن فيه تجاوزا لمقولات ثقافية غدت مسلمات من قبيل أن «جميع الأغيار وثنيون مسلمون كانوا / مسيحيين أو غير ذلك»[22].

وإلى جانب مفهوم الغُوي هناك مفهوم آخر تدوول في اللغة اليديشية، ونقصد «شيكسا» وتعني «الأنثى غير اليهودية والمذكر منها هو شيكتس (...) [و] الكلمة مشتقة من (...) شيكتس العبرية التي تعني حيوانا قذرا أو مخلوقا كريها أو الرجس، وهي أيضا تشير إلى الذكر غير اليهودي»[23].

أما «شايغتس» التي أومأنا إليها في الذي تقدم فتعني في قاموس ميغيدو الحديث العبري الإنجليزي، «حيوانا غير نظيف، مخلوقا كريها، مقيتا، رثا، شابا فاسدا، شابا من الأغيار»[24].

ونَلفت النظر إلى أن السلطات الحاخامية تفطنت إلى خطورة هذه النعوت والمسميات التي تثوي في التلمود والكتاب المقدس وباقي المصنفات الدينية اليهودية من حيث تبعاتُها السلبية على الجماعات اليهودية في البلدان التي لا تسيطر فيها، فاضطرت [أي السلطات الحاخامية] إلى تغيير وتحوير بعض المصطلحات والمفاهيم والتخفيف من حدتها العدائية، فعبارات؛ الأغيار Goyim وغير اليهود Eino Yehudi

---

22 – مقارنة الأديان 1: اليهودية، مرجع مذكور، ص. 299.

23 – موسوعة اليهود واليهودية، [ج.5]، ص. 242.

24 – نقلا عن: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مرجع مذكور، ص.39.

والغريب Nokhri استبدل بها عبارات مثل عابد الأوثان والكافر وحتى الكنعاني، أو السامري التي يمكن الاستبراء منها، ولكن في الآن نفسه تسعف القارئ اليهودي في تمييزها والتعرف عليها باعتبارها كنايات ملطخة للعبارات القديمة[25].

ننتهي من خلال ما تقدم، وبما لا يدع لدينا مجالا للشك، إلى تأكيد الدعوى التي صدرنا بها هذا المبحث؛ ألا وهي دونية وحقارة هذا الآخر / الغُوي / الأجنبي / غير اليهودي... وهي دونية وحقارة ليس فحسب تحطه عن قدر الإنسان بل تخرجه من دائرة الإنساني إلى اللاإنساني والحيواني حتى، وهذا ما سنفصل فيه القول ونلقي مزيدا من الضوء على غياهبه حين نعرض في المطلب الأول من المبحث الموالي لقراءة وضع الآخر في النسق الثقافي اليهودي.

3 - المبحث الثالث : صورة الغُوي في التداول اليهودي

نعتزم في هذا المبحث ذي المطلبين الاثنين تجلية الصورة والوضع الذي يحتله «غير اليهودي» في النسق الثقافي اليهودي منتهجين «الموضوعية»، ما وسعنا ذلك، في «قراءة» و«نقد» هذا «النسق»[ن]، وذلك بطريق إثبات الصوتين / الخطابين اللذين يتجاذبان هذا الغير، الصوت / الخطاب الظالم اللاذع له،

25 - الديانة اليهودية وتاريخ اليهود..، مرجع مذكور، ص.49 و50، وانظر أيضا الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مرجع مذكور، ص.33.

ن - نقد الأنساق الثقافية عبارة استعرناها من الباحث السعودي محمد عبد الله الغذامي في كتابه: «النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية» الصادر ضمن منشورات المركز الثقافي العربي.

والصوت / الخطاب العادل وهو الأصل وبعض الحق الذي لم يلتبس علينا في «العهد القديم».

المطلب الأول: الخطاب المجحف في حق الغُوي

إن ثنائية «اليهودي» / «غير اليهودي» تتخذ دعامة لها تنهض عليها تلك الثنائية التي يعقدها العهد القديم بين أبناء الحرة «سارة» وأبناء الجارية «هاجر»، وهي ثنائية أضحت كليشيها / صورة نمطية شكلت نظرة «اليهودي» ورفدت «عداءه» تجاه الآخر.

فالآخر بمقتضى هذه الثنائية / الكليشيه يظل موضوع استرقاق واستعباد من قبل اليهودي «الأصيل»، ولذا يأمر الرب، فيما يزعم كتبة العهد القديم، بني إسرائيل قائلا: «(...) من الأمم الذين حواليكم تقتنون العبيد والإماء، وتقتنونهم أيضا من أبناء الغرباء المقيمين معكم ومن عشائرهم الذين عندكم المولودين في أرضكم، هؤلاء تأخذونهم لكم وتورثونهم لبنيكم من بعدكم ملكا لهم، فيستعبدونهم ماداموا أحياءً، وأما إخوتكم بنو إسرائيل، فلا يتسلط أحد على الآخر بعنف»[26]، فالأجنبي / الغُوي «يندب» حياته للقيام بأعمال السخرة التي يستنكف منها بنو إسرائيل «الأصلاء» كرعي الغنم، والفلاحة، وزراعة الكرم[27]، ويضطلع الغُوييم أيضا بمهمة الحمالين وقطاع الحجارة والعسس[28].

ودون كثير إنعام نظر يتضح أن هذا الغُوي / العبد والخادم متضع اتضاعا فاحشا مسلوبة إرادته، سيده اليهودي «النقي»

---

26 – اللاويين، 25: 44، 45، 46.

27 – إشعيا، 61: 5.

28 – أخبار الأيام الثاني، 2: 16، 17.

هو الذي يقرر في أخص خصوصياته، وهو بعد والشيء سواء، فبحسْب التلمود إذا وجد [هذا العبد] شيئاً فهذا يعود لسيده، لأن الشيء لا يمكن له شرعيا أن يكون مالكا لشيء آخر!!، وإذا مات لا تقام له أي طقوس جنازية، ولا أي تعاز لأن فقدانه مماثل لفقدان حمار أو بقرة[29].

وهذا الآخر حتى وإن قبل باسترقاقه، متهم دائما من قبل سيده في طويته؛ فهو غير مخلص، نؤوم، كسول، لص عندما يكون رجلا، فاسق بغي عندما يكون امرأة[30]، ولأجل ذلك يعامل معاملة خاصة ديدن الأسياد فيها التأديب المبالغ فيه.

ولم يخلق الله الغُوييم بالقياس إلى ما جاء في مدراش تالبوت في شكل آدمي إلا لتمجيد إسرائيل وخدمتهم ليلا نهارا، وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة، كما أنه من اللائق أن يقوم على خدمة الأسياد «الأنقياء» «الخلص» حيوانات في أشكال طبيعية / إنسانية[31]، ولأجل هذا كله لا يمكن لهؤلاء الغُوييم أن يسودوا على بني إسرائيل أو يكونوا ملوكا عليهم[32].

---

29 – بحث بابا ميتسيا: 1.1-5، نقلا عن اليهودية والغيرية، مرجع مذكور، ص.90، وللمزيد من التفصيل ينظر أيضا: مفاهيم تلمودية، مرجع مذكور، ص.112، وكذا قاموس المذاهب والأديان، د.حسين علي حمد، دار الجيل، بيروت، [ط.1]، 1419هـ/ 1998م، ص.231.

30 – اليهودية والغيرية، مرجع مذكور، ص.91، ومفاهيم تلمودية، ص.114، 160، وينظر أيضا: تلفيق صورة الآخر في التلمود (يسوع والعرب والمسيحيين والأميين)، زياد منى، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، [ط.1]، 2002م، ص.156 وما بعدها.

31 – مفاهيم تلمودية، مرجع مذكور، ص.110، وانظر أيضا: الديانة اليهودية وموقفها..، مذكور، ص.40.

32 – التثنية، 17: 15، 16.

وفي السياق نفسه يذهب ابن شمعون في المادة 502 من مدونته إلى أن «البكر من الجارية أو الأجنبية لا يمنع البكورة من الإسرائيلية بعدها»[33]، فالابن البكر من الأجنبية لا يحظى ب«البكورة» ولا يتمتع بما يترتب عليها من حقوق تطول الإرث كما تطول السمعة الحسنة التي يحوزها الابن البكر.

ولا يعزُب عن القارئ الحصيف أن المادة المنسوبة إلى ابن شمعون تشير خفية بَلْهَ صراحة إلى إمكانية حصول مصاهرة بين اليهود وأغيارهم، وهذا ما سنثبته فيما يستقبل من التحليل [المبحث الثالث والرابع والخامس من الفصل الثاني]، كما سنفند في الآن نفسه وبما يدمغ من الأدلة تلك الدعاوى القائلة بحرمة تصاهر اليهود وأغيارهم، لنجلو في المحصلة الأخيرة تداعي وتهافت مقولة صفاء بني إسرائيل.

وإلى جانب الثنائية «أبناء الحرة» و«أبناء الجارية» التي أومأنا إليها فيما تقدم، هناك ثنائية أخرى لا تقل عنها أهمية وخطورة، وتتصل بمفهومي المقدس والمدنس، وهما مفهومان يستبطنان ويحيلان، كلاهما، على ما هو فيزيقي وما هو ميتافيزيقي في الوقت ذاته، وقد استتبعت هذه الثنائية سلوكات ومعاملات مخصوصة من قبل اليهود وتجاه أغيارهم وهي مسكونة بما يصطلح على تسميته ألبيرتو دانزول «فوبيا الآخر»[34]، أي إنها غيرية مرضية أقرب إلى العنصرية البغيضة منها إلى الاختلاف

---

33 - الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، دار العلوم والثقافة، بيروت، [ط.2]، 1407هـ/ 1987م، ص.196.

34 - اليهودية والغيرية، مرجع مذكور، ص.13.

الطبيعي الباعث على التعارف الذي حث عليه الله سبحانه وتعالى في جميع كتبه[35].

ففرادة العنصر اليهودي إذن معزوة ومردودة إلى طهرانيتهم وقداستهم المتماهية مع قداسة الذات الإلهية؛ فإذا ما ضرب الوثني [الأجنبي بالضرورة] يهوديا استحق الموت، لأنه اقترف حوبا كبيرا يساوي الاعتداء على الحضرة الإلهية!! [36].

ويتساوق هذا مع موقف الحركة الحيسيدية من مطلق غير اليهود، إذ ليسوا، بنظرها، سوى مخلوقات شيطانية لا تحمل بداخلها أي شيء جيد على الإطلاق، كما أن الجنين اليهودي يفضل «نظيره» غير اليهودي وينماز عنه نوعيا [37]. وغير اليهودي أحد أربع كائنات شيطانية إلى جانب الخنزير والكلب والحمار والتي يجب على المرأة اليهودية العائدة من حمامها الطقسي الشهري، أن تحاذر مقابلتها بوصفها مدنسة / نجسة وحتى لا تُضطر إلى معاودة «الاغتسال» ثانية[38].

---

35 – قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. الحجرات: 13، «التتبارك بك جميع عشائر الأرض»، التكوين، 12: 3.

36 – مفاهيم تلمودية، مرجع مذكور، ص.102.

ⁿ – هي حركة المتصوفة اليهود وإن كانت بنظر إسرائيل شاحاك صورة منحطة للصوفية اليهودية.

37 – الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مرجع مذكور، ص.19، 20، 40.

38 – المرجع نفسه، ص.54، وانظر أيضا بخصوص الفكرة نفسها: المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات، علي حسن ديب، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، سورية، دمشق، [ط.1]، 2000م، ص.103، 109، وكذا اليهودية والغيرية، الصفحات: 20، 21، 83، 180، وكذا: تاريخ اليهود، أحمد عثمان، [ج.2]، مكتبة الشروق، القاهرة، [د.ط]، [د.ت]، ص.111، وكذا مفاهيم تلمودية، الصفحات: 109، 127، 187، 191.

وغير اليهودي إن لم يكن شيطانا، في التداول اليهودي، فهو أفعى تقتسم والشيطان دور الغواية، غواية اليهود الأطهار[39]، الذين عليهم أن يحمدوا ربهم ويشكروا له في صلواتهم اليومية على عدم خلقه إياهم من الأغيار[40]، وعليهم أيضا أن ينأوا ما أمكنهم ذلك عن ضمانة / كفالة أجنبي حتى لا يوصفوا بالأغبياء[41]، أو بالسفهاء الذين يسعون إلى السوء البين بمحض إرادتهم[42].

وللأسباب نفسها [نجاسة ودنس الأغيار] يطلب الرب [رب بني إسرائيل] استبعادهم من الأماكن المقدسة اليهودية؛ يقول مخاطبا حزقيال: «(...) قل لشعب إسرائيل المتمرد (...) كفوا عن جميع أرجاسكم يا بيت إسرائيل، وعن إدخالكم الغرباء غير المختونين قلبا وجسدا ليكونوا في هيكلي ويدنسوه»[43].

وفي السياق نفسه لا يحق للأغيار بوصفهم أنجاسا الانكباب على دراسة التوراة بما هي كتاب مقدس متعلق وموجه إلى اليهود دون غيرهم، وإلا يفعلوا استحقوا عقوبة الموت بنظر الرابي يوحنا[44].

---

39 – مفاهيم تلمودية، مذكور، ص.112، وكذا الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مذكور، ص.137.

40 – الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص.166، 167.

41 – الأمثال، 20: 16 و27: 13.

42 – نفسه، 11: 15.

43 – حزقيال، 44: المقاطع من 6 إلى 9.

44 – مفاهيم تلمودية، مذكور، ص.101، وكذا اليهودية والغيرية، ص.103، ونحن أيضا وبهذا المقتضى ندخل في عداد الذين يستحقون الموت!!

وقد ترتب عن ثنائية «مقدس / مدنس» اعتقاد «الجماعات اليهودية» في أفضلية وخيرية كل من كان يهوديا من حيث العرق، الشيء الذي استتبع أن يسوغ، ثقافيا ودينيا، احتقار واستهجان كل ما يمت بسبب من الأسباب إلى الأغيار.

فالأغيار أو «الأميون» عموما والعرب منهم بخاصة ديدنهم في الحياة البغاء والدعارة، فقد جاء في «قدوشين 49 ب» أنه «انصب على العالم عشرة أوزان عهر، كان نصيب بلاد العرب [وحدها فقط!] تسعة منها وواحد لبقية العالم»[45].

ثم إنه لا ضير إطلاقا إن أتى اليهودي بعض الأمور التي تمنعها وتحظرها «اليهودية» إذا تعلق الأمر بالغُوييم، لأن حكمها ينتقل من دائرة المحرم إلى دائرة المندوب إلى فعله أو الواجب حتى، الذي يقود في المحصلة الأخيرة إلى الأجر والثواب.

فالقتل مثلا يعد في الديانة اليهودية واحدة من ثلاث خطايا شنيعة إلى جانب الوثنية والزنا، وتعاقب عليها أشد العقوبات، ولكن يظل كذلك [أي شنيعا] فيما بين اليهود أنفسهم لا فيما بينهم وبين أغيارهم، لأنه يعتبر مذنبا من قتل إسرائيليا فقط، لا واحدا من النوحريم / الأغيار[46]. إن قتل غير اليهودي من

---

45 - تلفيق صورة الآخر، مذكور، ص.212، ولهذا ولأمور أخرى كثيرة [الكذب بالفطرة] لا تقبل شهادة غير اليهودي على اليهودي وفي أي قضية من القضايا مثلما تذهب إلى ذلك المادتان 51 و260 من المقارنات والمقابلات، ينظر: العلاقات الخاصة بين المسلمين وغير المسلمين، بدران بدران أبو العينين، مكتبة دار التأليف، [د.ط]، [د.ت]، ص.211.

46 - الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد همو، الأوائل، [ط.1]، 2003م، ص.157، وانظر أيضا: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص.132، 133.

الأفعال التي يكافئ عليها يهوه[47]، وهذا الرباني «شمعون بن يوحاي» يقول في التلمود مخاطبا «جماعات اليهود»: «اقتلوا من الأجانب أفضلهم، وهشموا الرأس بين أحسن الأفاعي»[48].

بل أكثر من هذا تحض «اليهودية» معتنقيها على التحايل وتحري جميع السبل والأسباب لإلحاق الأذى / القتل بغير اليهودي حتى وإن تطلب ذلك انتهاك حرمة السبت[49] اللهم إن كان في ذلك ضرر لليهود، إذ يستلزم الأمر حينئذ إظهار المحبة تجاه هذا الغير أو حتى العمل على إنقاذ حياته تقية فقط لا تعبيرا حقيقيا عما يعتمل في سويداء اليهودي المستقيم[50]. لا غرو إذن إن كانت يهودية مثل هذه تأمر بقتل أفاضل الأغيار وتأجر على ذلك الأجر الأوفى، أن يغدو قتل وضعائهم، وهم كلهم كذلك في منظارها، من باب أولى.

والربا هو الآخر محرم مذموم في شرعة اليهود، يزعم كتبة العهد القديم أن الرب قال: «(...) لا تقرضوا إخوتكم من بني قومكم بربا يدفعونه إليكم فضة أو طعاما أو أي شيء آخر مما يقرض بالربا، بل أقرضوا الغريب بالربا [!!] (...) فيبارك

---

47 - مفاهيم تلمودية، ص.146.

48 - المرجع نفسه، ص.75.

49 - الديانة اليهودية وتاريخ اليهودية، ص.17، 18، والديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، الصفحات: 141، 142، 144، 153، وكذا المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات، مذكور، ص.110 و: مفاهيم تلمودية، ص.121، و: التمييز ضد غير اليهود في (إسرائيل)...، مرجع مذكور، ص.17.

50 - الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مذكور، ص.133، و: مفاهيم تلمودية، مذكور، ص.121.

الرب إلهكم جميع أعمال أيديكم في الأرض التي أنتم داخلون لتمتلكوها»[51].

يبدو، ودون كثير إنعام نظر، أن سؤال الإنسان الذي يفترض أن يكون مركزيا ومحوريا في مطلق الكلام الصادر عن خالق الكون، يغيب في هذا النصِ، وتحظر بدله أنانية ضيقة تَهِمُ الصفاء والخلوص، يرفدها لَي أعناق النصوص بما يخدمها [أي هذه الأنانية] الذي يضطلع به الشراح والمفسرون من الحاخامات، وهذا ما يؤكده اعتبار أخذ أكبر قدر ممكن من الفائدة من قرض لأحد الأغيار واجبا دينيا!! [52].

وفيما يتصل بالمعاملات دائما «يحرم» بيع اليهودي غَيْرَ اليهودي «الغريب» أرضا أو حقلا أو تأجيره إياه شيئا [53]، كما تمنع المادة 361 من المقارنات والمقابلات أيضا الهبة للأغيار وتعدها باطلة إن حصلت[54]، واليهودي مدعو إلى عدم إرجاع أي مفقود، وكيفما كان نوعه، لغير اليهودي، لأن مكتوب «أعد إلى أخيك ما فقده»[55]، والغُوي / غير اليهودي بنظر الشراح والمفسرين ليس أخا لليهودي.

والبغاء هو الآخر مرفوض في كل الشرائع والقوانين وتَمُجُّهُ النفس البشرية السوية، إلا أن «الديانة اليهودية» تنظر

---

51 - التثنية، 23: 20، 21، وانظر أيضا: اليهودية، مذكور، ص.51، و: مفاهيم تلمودية، مذكور، ص.119، 120.

52 - الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مذكور، ص.68، 69.

53 - تلفيق صورة الآخر، مذكور، ص.158، 159، وكذا مفاهيم تلمودية، ص.113، 114.

54 - العلاقات الخاصة بين المسلمين...، ص.166، وانظر بخصوص الفكرة نفسها: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مذكور، ص.159.

55 - مفاهيم تلمودية، مذكور، ص.119، وتلفيق صورة الآخر، ص.160.

إليه بمنظار مزدوج المعايير؛ فهو منبوذ ويعتبر إثما فقط فيما بين معتنقي هذه الديانة، أما إذا تعلق الأمر بالغُوييم لم يُجَرَّم مقترفه من اليهود إذ يَحِلّ له أن يتاجر بالبغايا الأجنبيات وأن يزني بهن، لأنه مرة أخرى مكتوب «زوجة أخيك» لا زوجة الغريب!! ولأن هؤلاء الأغيار منحلون لم يَزَلُوا ونطفهم كنطف الخيل، ونساؤهم بمنزلة البهائم[56].

ويجمل بنا أن نشير إلى أن خاصة خَاصة الأغيار والذين شكلوا انعطافات مهمة وغير منكرة في تاريخ البشرية جمعاء لم يسلموا من هذه «الغيرية المرضية»؛ فالنبي عيسى عليه السلام مُجَدِّفٌ على الله، ومهرطق مضلل وينعت ب«جيشو» وهذه الكلمة مركبة من الأحرف الأولى للكلمات: « إيماش شيمو ويذكره » أي «ليُمح اسمه وذكره»!! وهو بعد ابن غير شرعي وزنديق[57]، والنبي محمد عليه الصلاة والسلام ليس سوى «ميشوغاغ» أي الشخص المجنون!! [58].

وعلى سبيل ختم هذا المطلب ننتهي من خلال ما تقدم إلى أن جوهر الفرق بين اليهود وأغيارهم هو في مرتبة طاهر ونجس،

---

56 – المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات، مذكور، ص.102، و: اليهودية، مذكور، ص.52، و: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مذكور، ص.155، 156.

57 – الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مذكور، ص.29، 36 و: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود...، ص.47، 52. و: مفاهيم تلمودية، مذكور، ص.138، 139، 142، 143.

58 – الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مذكور، ص.178، وللمزيد من التفصيل عن سلوكات اليهود تجاه الأغيار يراجع: فضح التلمود: تعاليم الحاخامين السرية، الأب آي.بي. برانايتس، إعداد زهدي الفاتح، دار النفائس، [ط.3]، 1405هـ/ 1985م.

مقدس ودنيوي، وللفرق نفسه يرفض الحاخام الإشكنازي «شلومو غورين» تبني إسرائيل قانون مناهضة العنصرية لأنه، بنظره، يعني إلغاء الحدود الفاصلة بين اليهود وغير اليهود[59].

وقمين بنا هنا، وحتى لا نقع في مثلبة التعميم الكاسح، أن نشير إلى أن العهد القديم على ما طاله من تلبيس يحفُل ببعض الحق تجاه الأغيار يلزمنا تبيانه وكشفه وإحقاقه، وهذا ما سنطرقه في المطلب الموالي.

المطلب الثاني: الخطاب المنصف للغُوي في العهد القديم

ومن نافل القول إن القارئ سيلحظ ودون إعمال نظر، تناقضا أو تعارضا ما بين هذا المطلب والذي تقدمه، وهو تعارض له ما له من أهمية واعتبارية خاصة، بالنظر إلى إسهامه وإسعافه الباحث في إعادة ترميم نص اليهود المؤسِّس أو ما يدعوه الباحث سعيد يقطين «إيجاد النص»[60].

ثم إن هذا التناقض الذي ألمحنا إليه، ليس من عنديتنا، ليس نحن من صنعه أو عمل على افترائه بتقويل النصوص اعتسافا وقسرا ما لم تقل، وإنما هو [التناقض] متضمن وثاوٍ في أسفار العهد القديم؛ إصحاحات ومقاطع.

59 – التمييز ضد غير اليهود في (إسرائيل)...، ص.18، 95.

60 – انظر: الأدب والمؤسسة نحو ممارسة أدبية جديدة، سلسلة كتاب الجيب، الكتاب 12، منشورات جريدة الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، مارس 2000، ص.102.

ففي هذه النصوص «العيون» التي سنقبسها من العهد القديم، والتي سنوردها أو سنحيل عليها تباعا بحَسْبِ ما يقتضيه منطقنا في التحليل يكاد يتساوى فيها اليهودي «الأصيل» والغُوي «الدخيل» في الحقوق والواجبات.

ولنضرب صفحا عن فعل المقاربة «يكاد» الذي يوهم بالريبة والنسبية، ثم نقول جازمين، ودون تحفظ، إن خطاب كثير من هذه النصوص التي نعتناها بالعيون يساوي بين اليهود وأغيارهم ويعتبرهم شعبا واحدا بإله واحد، إذ «للرب كل البشر كما له أسباط إسرائيل»[61].

ولهذا الاعتبار نفسه؛ المتضمن في منطوق هذا المقطع يساوي الرب في العهد الذي قطعه في أرض مؤاب بين الأصيل والدخيل يقول مخاطبا الشعب الذي لا فرق فيه مطلقا بين اليهودي عرقا والمهتدي و«الغريب»[62]: «(...) وأنتم واقفون اليوم جميعا أمام الرب إلهكم رؤساء أسباطكم وشيوخكم وقادتكم ورجالكم وأطفالكم ونساؤكم والغريب الذي في محلتكم(...) والرب لا يقطع الآن هذا العهد وهذا القسم معكم وحدكم، بل يقطعه أيضا مع كل من يقف معنا اليوم [من الأغيار] أمامه ومع من لم يولد بعد، ليقف معنا اليوم هنا»[63].

---

61 – زكريا، 9: 1.

62 – التثنية، 31: المقاطع من 10 إلى 12، وانظر أيضا: يشوع، 8: من 33 إلى 35، وانظر أيضا: اللاويين، 18: 26.

63 – التثنية، 29: المقاطع من 9 إلى 14.

لعل أهم شيء يقرره هذا النص بالإضافة إلى احتفاله بالآخر احتفالا عادلا ومعقولا بالرغم من أنه مازال يصِمُهُ بالغريب، هو أن الديانة اليهودية ديانة تبشيرية وعالمية كباقي الأديان، ولم تكن خاصة ببني إسرائيل، وقد اعتنقتها شعوب مختلفة ليس المقام مقام التفصيل فيها، وهذا يدحض التصورات المدرسية التعليمية الواهية التي تقصر العالمية على الرسالة المحمدية دون غيرها. ويَعْضُد في الآن نفسه الآراء الأكاديمية القائلة بلا محدودية الرسالة اليهودية التي تصدر عن أساس علمي ووعي نقدي متين يبررانها[64].

وتَعِنُّ لنا هنا أيضا خلاصة رديفة للتي سبقت وهي أن لفظة «الغريب» و«الغرباء» التي تَحبُل بها نصوص العهد القديم قد تكون دوال في الأصل لمدلول يتصل بالذي رغب عن اعتناق اليهودية لا بالشحنات العنصرية العرقية، فيكون بذلك العهد القديم فضاء رحبا يشمل «أغيار العقيدة»، ويكفل لهم حرية الاعتقاد ويرعاها[ن].

يطلب الرب من بني إسرائيل عدم مضايقة «الغريب» مذكرا إياهم بغربتهم في أرض مصر[65]، التي يستتبع تمثلها

64 – اليهودية والغيرية، مرجع مذكور، ص.103.

ن– وإن كان إسرائيل شاحاك يذهب إلى أن الإكراه المادي والنفسي وليس الاختيار كان ديدن السلطة الدينية في نشر اليهودية. ينظر الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص.18.

65 – الخروج، 23: 9، واللاويين، 19: 33، 34، والتثنية، 10: 17، 18، 19، و24: المقاطع من 17 إلى 22، والجنس عند اليهود...، ص.306 .

والإحساس بها عدم اضطهاد هذا «الغريب» وعدم الجور عليه[66].

ونصرته إذا كان مظلوما بالانتصاف له من الظالم[67]، فحظوة الغرباء لدى الرب بينة غير منكرة، إذ يظل حارسهم ومعينهم في جميع الأحوال[68]، كما حث على عدم احتقارهم ووجوب الرأفة بهم[69]، وإغداق العطاء عليهم وإروائهم[70]، ومن وقع في محظور من هذا القبيل [احتقار وإهانة الغريب] حاد عن شريعة الرب واستوجب غضبه[71]، وهو الذي جعل للغرباء نصيبا في أرض إسرائيل مثلهم في ذلك مثل الأصلاء[72].

بالنظر إلى ما سلف يغدو منطقيا ومعقولا جدا أن يطالَب الغُوي / الغريب بإقامة الفرائض واجتناب النواهي نفسها التي يطالَب اليهودي بفعلها أو تركها؛ فهو مطالب بصنع الفصح[73]،

66 – إرميا، 7: 6، والخروج، 22: 20.

67 – إرميا، 22: 3، وزكريا، 7: 9، 10، وملاخي، 3: 5.

68 – المزامير، مزمور 146، 9.

69 – الأمثال، 14: 21، وكذا التثنية، 24 : 14، 15، والجنس عند اليهود...، ص. 343.

70 – الأمثال، 11: 25.

71 – حزقيال، 22: 7، 29.

72 – نفسه، 47: المقاطع من 21 إلى 23، كما جعل لهم نصيبا في العالم الآتي؛ انظر منهاج رابي يوسف، ألبو في أصول الدين وصلتها بنظريات ابْنَيْ جيله: رابي سداي كرشكش ورابي شمعون بن تسيماح دوران، د.مائير فاكسمان، في مجلة المحجة، [ع.15]، معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، شتاء 2007م / 1428هـ، ص.232.

73 – العدد، 9: 14.

وبإصعاد المحرقات وتقديم الذبائح والقرابين بحَسْبِ ما سطرته الشريعة[74]، وللغريب أيضا أن يُعيِّد بعيد الحصاد[75]، ويصوم يوم الغفران مثل باقي بني إسرائيل[76].

ويأثم «اليهودي» و«الغريب» كلاهما كلما ارتد أحدهما عن عبادة الرب وسلك ما شان من الطرق فعبد الأصنام[77]، وقرب لها القرابين[78]، ويستفيد الغريب من الرخص التي يمنحها الرب لجميع عباده؛ فهو الآخر يُسْبِتُ في اليوم السابع عملا بأمر الرب[79]، كما تحتضنه مدن الملجأ إلى جانب اليهودي «الأصيل» إن هو قتل سهوا أو خطئ خطيئة ما[80].

يتضح من خلال ما تقدم أن الرب يعامل جميع عباده، الأصيل منهم والدخيل، على قدم المساواة ما حافظوا على شريعته وتمسكوا بعهده[81]، وهي المساواة عينها التي احتكم إليها خاصة خاصة بني إسرائيل في علاقتهم بالأغيار واستنكروا كل معاملة قفزت على هذه المساواة الإلهية، ودونكم تعجب

---

74 – نفسه، 15: 14، 15، 16 و اللاويين، 17: من 8 إلى 12 و22: 17، 18، 19، والجنس عند اليهود...، ص.303، 304، 314.

75 – التثنية، 16: 11.

76 – اللاويين، 16: 29، 30، 31، وكذا: اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت، عبد المجيد همو، مراجعة وتدقيق إسماعيل الكردي، الأوائل، [ط.1]، 2003م، ص.156.

77 – حزقيال، 14: 7، 8.

78 – اللاويين، 20: 1، 2، 3، وكذا الجنس عند اليهود، ص.307.

79 – التثنية، 5: 14.

80 – العدد، 15: من 27 إلى 31، و35: 15، ويشوع، 20: 9.

81 – إشعيا، 56: من 1 إلى 7.

النبي داود من قتل الأشرار الأرملة والغريب[82]، وصلاة سليمان ودعواته لأجل الغريب[83]، وإكرام أيوب له[84].

وفي الفصل الموالي والذي سنفرده لموضوع الزواج باللواتي من الأغيار سنلحظ مرة أخرى خطابا مفارقا لما رأيناه في هذا المطلب وبخاصة في المبحث الثالث منه، وخطابا موافقا أو متطابقا حتى، من حيث الغاياتُ والمآلاتُ الكبرى في المبحث الرابع بشكل جلي وفي المبحث الخامس بضرب من التأول.

---

82 – المزامير، مزمور 94: من 3 إلى 6.

83 – أخبار الأيام الثاني، 6: 32، 33، والملوك الأول، 8: من 41 إلى 43.

84 – أيوب، 29: 16 و31: 31، 32.

الفصل الثاني

الزواج بالأجنبيات في العهد القديم

المبحث الأول : أهمية الزواج لدى اليهود.
المبحث الثاني : وضع المرأة في التداول اليهودي.

المطلب الأول : بشأن المرأة اليهودية.
المطلب الثاني : بشأن المرأة الأجنبية.

المبحث الثالث : حظر الزواج بالأجنبيات.
المبحث الرابع : زيجات لعظام من بني إسرائيل بغير اليهوديات.
المبحث الخامس : مناقشة مقولة صفاء بني إسرائيل.

1 - المبحث الأول : أهمية الزواج لدى اليهود

بدءا يعتبر من النافل القولُ إن اليهود مثلهم مثل باقي خلق الله يتزوجون ويطلقون، وإنهم؛ ديانتهم تنظر إلى الزواج نظرة ملؤها الإكبار والإجلال، يغدو معها الزواج أمراً محببا مرغوبا معتبرا، يطهر المقدم عليه مثلما يصفه التلمود «كيروسين»[85].

وقد اختلفت تحديدات الزواج لدى الطوائف اليهودية اختلافا يظهر تارات ويَلطُفُ أخرى، إلا أنه يظل بمكنتنا أن نقول إنه [أي الزواج] لا يعدو أن يكون لدى الربانيين «عقدا بين رجل وامرأة بمهر ووثيقة وشهود»، كما تفيد بذلك المادة السادسة والخمسون لحاي بن شمعون، وهو عند القرائين «عقد يتم بمهر ووثيقة وقَبول»[86].

85 - نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، مرجع مذكور، ص. 10.

86 - المرجع نفسه، ص.10.

وتصاحب الزواج اليهودي طقوس مخصوصة؛ إذ يقام في البداية حفل طلب يد الزوجة المسمى «شيدوخين»[87]، والذي يقابل «الخِطبة» في التداول العربي الإسلامي، ثم يعلن الزواج ب«القَديش» أو مباركات الخمر السبعة، وبالعبارة القائلة: «ها أنت أصبحت زوجة لي على سنة موسى وبني إسرائيل»[88].

ولنا أن نَحْزِرَ بالاعتماد على العبارة أعلاه أن المجتمع اليهودي مثل كثير من المجتمعات الشرقية ذكوري بامتياز إذ يظل «الذكر» المتكلم والفاعل في جميع مناشط الحياة، الشيء الذي يجعل دور المرأة منحسرا ضيقا بشكل يَلفت النظر، وهذا ما سنجلوه بشيء من التفصيل في المبحث الموالي.

وفيما يتصل بالوضع الاعتباري الذي يحوزه الزواج في المنظومة الثقافية اليهودية، ومن خلاله الشخص المتزوج، يومئ التلمود إلى أنه لا يجوز للرجل أن يعيش دون زوجة ولا للمرأة أن تعيش دون زوج، ولا يخلع التلمود صفة الرجولة إلا على المتزوج، أما الذي يبلغ العشرين ولم يتزوج فإنه [بنظره] يقضي حياته في ذنوب ويفقد رجولته[89]، ويعيش بلا بهجة، وبلا بركة وبلا مال، وهو بعد يرتكب جريمة لا تقل

---

87 - يهود المغرب والأندلس، حاييم الزعفراني، ترجمة أحمد شحلان، [ج.2]، مرسم الرباط، النجاح الجديدة، 2000، [د.ط]، ص. 441.

88 - المرجع نفسه، ص.444.

89 - اليهود الحيسيديم: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، تقاليدهم، د.جعفر هادي حسن، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، [ط.1]، 1415هـ/ 1994م، ص. 275.

عن جريمة قتل، لأن العزوبة سبيل لإطفاء نور الله[90]،كما أنها تتسبب وتُسْلم إلى أمر آخر جليل وهو تخلي الله عن شعبه إسرائيل[91].

وقد بات واضحا، بالنظر إلى الذي تقدم، أن فَرْضية / وجوب الزواج على عموم المكلفين من اليهود أمر لا رجعة ولا مرية فيه كيما تتم وتتحقق وصية الله «أثمروا، واكثروا، واملأوا الأرض»، ولا يقبل بأي حال من الأحوال الامتناع عن الزواج أو تأخيره إلا لعذر واحد ووحيد هو التفرغ لدراسة الشريعة الإلهية[92]، فالزواج بحَسْبِ المادة401 من المقارنات والمقابلات: «فرض على كل إنسان لا يُستثنى منه صغير[ن]، ولا كبير ولا غني ولا فقير ولا صحيح ولا سقيم ولا عالم ولا أمي، بل يجب على الجميع الاشتراك في استبقاء النسل، ولا يقال إن الإنسان قد قام بهذا الواجب إلا إذا رزق منه بذكرين وأنثى».

---

90 - نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، مرجع مذكور، ص. 10.

91 - الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، مذكور، ص. 191، والمادة 333 من المقارنات والمقابلات.

92 - تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، ص. 148، نقلا عن: اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت، مذكور، ص. 160، وانظر أيضا اليهودية والغيرية، ص. 166، و: الفكر الديني اليهودي...، ص. 191، و: نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، ص. 10.

ن -ورد في المشنا: زوج أولادك ولو كانت يداك لا تزال على رقبتهم، وفي المادة394 من المقارنات والمقابلات «من بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعن»، ويحدد التشريع اليهودي سن الزواج القانونية في13 سنة للرجل و12 للمرأة.

ويُسَوِّرُ التشريع اليهودي الزواج بجملة محاذير يظل اختلاف الدين قبل المذهب أهمها بنظرنا، إذ يقود إلى بطلان العقد، فالمادة السابعة عشرة من الأحوال الشخصية للإسرائيليين تذهب إلى أن: «الدين والمذهب شروط لصحة العقد، فإذا كانا [الزوجان] من غير الدين أو من مذهب آخر فلا يجوز العقد بينهما»[93]، ويبدو أن هذه المحاذير لا تزال مستمرة وجارية عند كثير من الجماعات اليهودية؛ فمعتنق الإسلام من اليهود أو غيره من الملل يعتبر في التداول اليهودي مرتدا تطلق منه امرأته ويحول نصيبه في الإرث إلى أهله الأبعدين، وتعتبره عائلته الممسوس شرفها بفعله الشائن في حكم الميت[94]. وفي المبحث الموالي سنتناول بالدرس والتحليل مكانة المرأة في النسق الثقافي اليهودي بوصفها عنصرا محوريا لا مندوحة عنه في قيام فريضة الزواج.

المبحث الثاني: وضع المرأة في التداول اليهودي

المطلب الأول: بشأن المرأة اليهودية

لا نجانب الصواب إن نحن ادعينا أن اليهود يقيمون تفاضلا بينا وفاحشا بين المرأة / الأنثى والرجل / الذكر؛ فهم ينظرون

---

93 – العلاقات الخاصة بين المسلمين وغير المسلمين، مذكور، ص.85.

94 – يهود المغرب والأندلس، مذكور، ص.442، 471، وللمزيد من التفصيل عن الزواج وطقوسه عند «جماعة يهود المغرب» يرجع إلى: اليهود في المغرب، ماهر سمك، كتاب الحرية، رقم 42، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، [ط.1]، 1419هـ/ 1998م، ص.85 وما بعدها، وإلى: العوائد العتيقة اليهودية بالمغرب من المهد إلى اللحد، إيلي مالكا، الملتقى، [ط.2]، 2003م، ص.30 وما بعدها.

إلى المرأة [اليهودية] نظرة دونية ملؤها الاحتقار والاستصغار، مقابل إكبارهم وإجلالهم للرجل، وسنعمل فيما يلي من التحليل على إيراد ما يكفي ويجزئ من الأدلة والشواهد التي تعضُد دعوانا هاته.

فالرجل وحده «الإنسان» أما المرأة فمتضعة عن مستوى الإنسانية هذا، وغير طاهرة بفطرتها، أي إنها نجسة مُنَجَّسَةٌ ومدنسة لم تَزَلْ[95]. لأجل هذا كله، ولأمور أخرى كثيرة نجلوها فيما بعد، يتوجه اليهودي كل يوم إلى الله بصلواته شاكرا له على أنعم ثلاث هي: أن خلقه إسرائيليا، ولم يخلقه امرأة، ولم يجعله فظا غليظا[96].

ثم إن المرأة بنص العهد القديم «أمر من الموت»، و«قلبها مصيدة ويداها قيود»، ووحده «الصالح أمام الله ينجو منها، أما الخاطئ فيعلق بها»، والصلاح في الرجال أوفر منه في النساء[97]، إذ أصلح النساء مشعوذات[98].

يتضح من خلال هذه النتف التي اجتلبناها من سفر الجامعة أن المرأة شر مستطير، ووصف النص إياها بالمصيدة

---

95 - نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، د.محمد شكري سرور، دار الفكر العربي، 1978 / 1979، [د،ط]، ص.57، 59، وانظر بخصوص الفكرة نفسها: الرئيس موسى بن ميمون (أبو عمران) وتعاليم التلمود، د.محمد علي البار، في المنهل، [ع.561]، [مج.61]، العام 65 رجب 1420هـ/ أكتوبر ونونبر 1999م، ص.60، وكذا: المرأة في الكتب السماوية، جبارة البرغوثي، دار كنعان للدراسات والنشر، [ط.1]، 1997م، ص.216.

96 - نظام الزواج في الشرائع اليهودية...، ص.58، وكذا المرأة اليهودية بين فضائح التوراة...، ص.99.

97 - الجامعة، 7: 26، 27، 28، وكذا مقارنة الأديان 1: اليهودية...، ص.300.

98 - المرأة اليهودية بين فضائح التوراة...، ص.99.

يحيل، بنظرنا، على مسؤوليتها في الخطيئة العظمى والأولى؛ إغواء آدم وإخراجه من النعيم، وإلى مسؤوليتها هاته ترتد دونيتها وصَغارها، وبسبب المسؤولية نفسها يصفها زكريا في رؤياه بالشر الذي يجمع آثام الأرض كلها[99].

وبالإضافة إلى اقتران الخطيئة الأولى بالمرأة ترتد - بنظرنا- دونية هذا الكائن إلى اعتقادات يهودية جمة من قبيل:

- أن المرأة مخلوق ثانوي (أي خلق ثانيا) والذكر مخلصه[100].
- أن روحها تافهة.
- أنها ليست حكيمة ولا يعتمد عليها.
- أن المشي وراء مشورتها يُسقط في جهنم[101].
- أنها أخذت تسعة أعشار الثرثرة النازلة على العالم[102].
- أنها لا ترث في تركة زوجها سوى صداقِها المبين في الكتوبة[103]، بل أكثر من هذا إنها تورث مع ما يورث من المتاع[104].

---

99 - زكريا، 5: من 5 إلى 8، والتكوين، 2: من 21 إلى 24، و: اليهودية بعد عزرا...، ص.161.

100 - اليهودية والغيرية، ص.68 وما بعدها.

101 - المرأة اليهودية بين فضائح التوراة...، ص.99.

102 - المرجع نفسه، ص.99، وكذا إسرائيل والتلمود، دراسة تحليلية، إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة، [د.ط]، 1410هـ/ 1990م، ص.37.

103 - الإرث عند اليهود المغاربة، جول كريكر في المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية، [ع.1]، 1935م، الرباط، ص.17، وهذا لا يشرفها بنظرنا لأنه يظل مقابلا مُسفًا «للمتعة» التي قدمتها للرجل!!

104 - الرئيس موسى بن ميمون (أبو عمران)...، ص.60.

- أن شهادة مائة امرأة مجتمعات لا تعدل شهادة رجل واحد[105].
- أن ليس لها أن تحلف بكل مقدس مخافة أن تنجسه، وحتى إذا حكم عليها بالحَلِفِ، فإنها تحلف بكوفية الصلاة أو خيوطها[106].

وتتساوق هذه الاعتقادات مع ما يذهب إليه «بابا بترة» لما يقول: «ما أسعد من رزقه الله ذكورا، وما أسوء حظ من لم يرزق بغير الإناث»، ويسترسل في كلامه مؤكدا ضرورة المرأة وعاقدا في الآن نفسه مقارنة وشبها قبيحين مسيئين إليها: «نعم لا يُنكر لزوم الإناث للتناسل، إلا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء، فالجلد والعطر كلاهما لازم للناس، إلا أن النفس تميل إلى رائحة العطر الزكية، وتكره رائحة الجلد الخبيثة، فهل يقاس الجلد بالعطر[؟؟!!]»[107].

ويبلغ تشييئ المرأة في الثقافة اليهودية مداه حين لا تشذ وظيفتها في الحياة عن إسعاف الرجل في قضاء وطره وأربه الجنسي[108]. ويبدو أن الوجه الوحيد الأكثر تكريما للمرأة اليهودية متصل بكونها بطنا وعاملا رئيسا في إنتاج الذرية

---

105 - المرجع نفسه، ص.60، و: إسرائيل والتلمود...، ص.37.

106 - اليمين عند إسرائيلي ناحية ميدلت، تعريب السيد العقباني الحاج حميدة، المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية، [ع.5]، 1937 / 1938م، ص.8.

107 - مقارنة الأديان..، ص.300.

108 - المرأة في الكتب السماوية، ص.215.

العبرانية، وفي هذا الإطار يُفهم إلحاح المادة الأولى بعد الأربعمائة من المقارنات والمقابلات على عدم جواز نكاح العاقر ومن بلغت سن اليأس، إلا إذا كان الرجل قد أدى فرض التناسل.

ولأجل هذا التكريم اليتيم للمرأة، يجب على الرجل بمقتضى المادة الحادية عشرة بعد الأربعمائة من المقارنات والمقابلات أن يحسن معاملة زوجته، كما يعفى الزوج من الجندية سنة كاملة ليسر زوجته، وبخاصة إذا كانت حديثة عهد بالزوجية[109].

وإذا كان هذا بعض ما يتعلق بالمرأة اليهودية التي يفترض بنظرنا أن تنسلك في منطقة اللامساس، وهو محير ومثير للتساؤلات، فماذا عن نظرة اليهود إلى «الغريمة» الأجنبية؟

المطلب الثاني: بشأن المرأة الأجنبية

إذا بات واضحا بالنظر إلى ما تقدم، أن صورة الأجنبي في الخطاب المجحف الذي يكتنفه الكثير من التلبيس والتحريف من بعد المواضع، تتسم بميسم القتامة الناهض على بغض ونبذ أريد له أن يكون ثقافيا عاما.

وإذا تبين لنا أن المرأة اليهودية «الأصيلة» تحتل وضعا مشينا لا تعدو أن تكون وظيفتها فيه منح الرجل «الذكر»

109 – التثنية، 24: 5.

بُضعها للتمتع، وإنجابها الذرية له، وهو وضع لا تحسد عليه، فإن وضع المرأة «الغير» / «الأخرى» بما هي أجنبية ودخيلة أولا، وبما هي «امرأة» / أنثى ثانيا، سيكون أشد استشكالا.

لكن لا ضير بعد هذا إن نحن تركنا أقوى النصوص دلالة على هذا الاستشكال إلى المبحث الموالي واكتفينا في هذا بما يسعف ويجزئ في إيضاح فكرته المحور والأساس، وهي ضعة المرأة الأجنبية التي ما بعدها ضعة.

تفترض الهالاكاه أن كل النساء غير اليهوديات [عرقا طبعا لا عقيدة] عاهرات[110]، كما أنهن في (عبوده زره) طامثات دنسات منذ ولادتهن وإلى الأبد، وكذلك بلادهن!! [111].

وحتى لا يكون كلامنا متهافتا وغير مؤسس، نضرب للقارئ مثلا للتحوير والتلبيس واللي الذي طال أعناق كثير من النصوص، دون أن ننسى أو نغمط الكتاب المقدس حقه في إحقاق الحق الذي فيه وتبيان درره وعيون نصوصه التي تأبت عن مختلف عمليات التحريف.

فالوصية «لا تشته امرأة قريبك، فمن يزن بامرأة قريبه يستحق الموت»، يحملها المفسرة من الحاخامات على أن القريب ليس سوى اليهودي فقط، وأن اليهودي لا يخطئ إذا

---

110 - الديانة اليهودية وموقفها...، ص.101، وانظر أيضا: الأمثال، 5: من 1 إلى 20.

111 - تلفيق صورة الأخر...، ص.190، 192.

تعدى على عرض الأجنبي، لأن المرأة الأجنبية بمنزلة البهيمة، وليس هذا فحسب، بل إن لليهودي الحق في اغتصاب النساء الأجنبيات[112] دون أن يأثم، وإنما الوزر تتحمله الضحية التي تغدو جانيا يجب إعدامها حتى لا يتعرض اليهودي للمشاكل بسببها[113].

ولأن بنات الأغيار بهذه المواصفات وتجلبن السأم تقول «رِفْقَةُ» لإسحاق متسائلة تساؤلا إنكاريا: «(...) فإن تزوج يعقوب بواحدة من بنات حث مثل هاتين [تقصد امرأتي عيسو]، أو من بنات سائر أهل هذه الأرض، فما نفع حياتي؟»[114].

وسيلحظ القارئ، ودون كثير إمعان نظر، بالاستناد إلى النص الذي استدللنا به أعلاه أن الزواج بالأجنبيات حصل في التاريخ اليهودي، كما سيلحظ أنه حصل بكثرة ومن عِلية بني إسرائيل، أما السوقة فمن باب أولى.

وقد أفردنا لهذا الأمر المبحث الرابع من هذا الفصل والذي عنوناه: زيجات لعظام من بني إسرائيل بغير اليهوديات، أما في المبحث الموالي فسنتناول بالدرس والتحليل مقولة حظر الزواج باللواتي من الأغيار موضحين ومبينين، ما وسعنا

---

112 – المرأة اليهودية بين فضائح...، ص.117.

113 – الديانة اليهودية وموقفها...، ص.156، 157.

114 – التكوين، 27: 46، وانظر بخصوص الحادثة نفسها: نظام الأسرة في اليهودية...، ص.20.

التوضيح والإبانة، خلفياتها وأسبابها، وصلاتها بشرع الله الحنيف المبثوث في ثنايا العهد القديم.

المبحث الثالث: حظر الزواج بالأجنبيات

إن منشأ حظر الزواج بالأجنبيات في اليهودية يرتد، بنظرنا، إلى الصورة النمطية المعتمة للغُوي عموما، وضمنه المرأة الأجنبية؛ فهي عاهرة أبداً، ووظيفتها غواية الأطهار من بني إسرائيل، والحكيم فقط من لا يجري وراء «شفتيها اللتين تقطران العسل» و»كلامها الذي هو ألين من الزيت»، ويدرك أن العبرة بالخاتمة وهي وخيمة إذا تعلق الأمر بالأجنبية؛ إذ «عاقبتها مرة كالعلقم ومسنونة كسيف له حدان»[115].

فغير اليهودية إذن نجسة دنسة[116]، فضلا عن أنها بمنزلة البهيمة[117]، ولأجل هذا تخال الذهنية اليهودية [أو أريد لها أن تخال ذلك] أنه ليس بمقدور العالم أن يستمر في الحياة إذا اقتصر الجماع الجنسي على الأغيار فقط.

وبالإضافة إلى هذا فبنات الأغيار قد يُملن قلب الإسرائيلي، فيعبد آلهتهن ويقدم الذبائح لها بدل آلهته هو [مثلما فعلن مع النبي سليمان]، ولهذا يقول الرب مخاطبا بني إسرائيل: «(...) لا تعاهدوا سكان الأرض التي أنتم

---

115 - الأمثال، 5: من 1 إلى 20.

116 - اليهودية والغيرية، ص. 21 وما بعدها.

117 - مفاهيم تلمودية، ص. 111، و: الفرق والمذاهب...، ص. 158.

سائرون إليها لئلا يكون ذلك شركا لكم (...) لئلا يدعونكم حين يعبدون آلهتهم ويذبحون لهم فتأكلون من ذبائحهم، ولئلا تأخذوا من بناتهم لبنيكم فيجعلنهم يعبدون آلهتهن التي يعبدنها»[118].

وللأسباب ذاتها يوصي إسحاق ابنه البكر المبارك بعدم مصاهرة كنعان والذهاب شمالا إلى سهل آرام واختيار زوجته من بنات أخواله[119]، وقبل هذا وبعد أن شاخ إبراهيم وبورك من قبل الرب في كل شيء يقول لكبير خدم بيته ووكيل جميع أملاكه: «(...) ضع يدك تحت فخذي فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض ألا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا مقيم بينهم بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب، وتأخذ زوجة لابني إسحاق (...) فوضع الخادم يده تحت فخذ إبراهيم سيده وحلف له على ذلك»[120].

ونعتقد أن هذا ملفق مصنوع ومقحم في كلام الله الأصلي، لأنه يتعارض وواقع الحال، إذ كيف يتزوج إبراهيم هاجر «الجارية» ويدعو إلى عدم مصاهرة الأغيار الذين يقيم بين ظَهرانيهم!؟؟

---

118 - الخروج، 34: من 12 إلى 16، و: التثنية، 7: من 2 إلى 4.

119 - التكوين، 28: من 1 إلى 4، والمقطع 6.

120 - نفسه، 24: من 1 إلى 9.

ولعل المتصفح للعهد القديم يلحظ أن النصوص القائلة بحرمة الزواج من الأجنبيات تتركز بشكل لافت للنظر في سفرين اثنين هما : سفر عزرا[121]، وسفر نحميا[122]، وتتذرع أحكام الحظر بأمور كثيرة منها ما أسلفنا ذكره وهو متصل إما بخوف الارتداد عن الدين اليهودي، وإما بالغُوي عامة باعتباره كليشيها قاتما وفظيعا تشهره هذه النصوص في وجه المراد منعهم، ومنها ما يتصل بخوف التشويش على «الصفاء» اليهودي المتوهم والمنشود في الآن نفسه، ومنها ما له علاقة بعدم حسن استقبال اليهود بعد خروجهم من مصر.

ونومئ هنا إلى العمونيين والمؤابيين الذين لم يلاقوا بني إسرائيل بالخبز والماء في الطريق!! [123].

على مثل هذه الأمور يتكئ الخطاب المحرم الحاظر لقيام علاقة المصاهرة بين اليهود وأغيارهم[124]، وللأسباب نفسها لا يعترف القانون الإسرائيلي اليوم بجميع العلاقات الجنسية

---

121 – عزرا، 9: 12 و10: 1، 2، 3، و10: من 10 إلى 14.

122 – نحميا، 10: 30، 31، 32، و13: من 23 إلى 28.

123 – نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين: الجماعات البدائية بنو إسرائيل، ثروت أنيس الأسيوطي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، [د.ط]، [د.ت]، ص.230.

124 – زواج مختلِفَيْ الدين من منظور الإسلام وسائر الأديان، محمد إبراهيمي، ترجمة صفاء الخزرجي، الغدير، بيروت، [ط.1]، 1424هـ/ 2003م، ص.20، و: تلفيق صورة الآخر، ص.199 وما بعدها، و: المرأة في الكتب السماوية، ص.125، و: نظام الأسرة...، ص.22، و: الفكر الديني أطواره...، ص.192، و: العلاقات الخاصة بين المسلمين...، ص.85.

شرعية كانت أو غير شرعية بين اليهود وأغيارهم[125]، درءًا لأي ولادة قد تكدر صفاء العرق اليهودي فيأسن!!

ويتساوق والذي سبق اعتبار «اليهودية» اختلاف الدين مانعا قويا من موانع الزواج[126]، وليس هذا فحسب بل يبطل عقد الزواج وتفسخ الخطبة إذا اعتنق أحد أفراد أسرة العريس أو العروس دينا آخر غير اليهودية، باعتبار الأمر يمس بشرف العائلة[127].

أما جوزيف فلافيوس فهو ضد الزواج المختلط لأنه، بنظره، يعتبر شيئا مريعا، ولأنه [أي جوزيف فلافيوس]، لا ينشرح لمعاشرة الأجانب والغرباء، فموقفه من الأغيار ينهض على الميل أكثر مما يقوم على الشريعة[128].

وسينجلي لنا من خلال المبحثين الموالين أن شرع الله الحنيف بريء من أحكام الحظر التي مست الزواج من الأغيار

---

125 - التمييز ضد غير اليهود...، ص.94.

126 - النظام القانوني للأسرة في الشرائع غير الإسلامية، د.محمد حسين منصور، منشأة المعارف، الإسكندرية، [د.ط]، 1983، ص.154، 155، و: اليهود الحيسيديم...، ص.276، و: أثر اختلاف الدين على الزواج المختلط في النظام القانوني المغربي، الحسين بلحساني، المجلة المغربية للاقتصاد والقانون، [ع.5]، 2002م، ص.79.

127 - اليهود في المغرب، مذكور، ص.93، و: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ، ثقافة، دين، حاييم الزعفراني، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، [ط.1]، 1987م، ص.78، و: نظام الأسرة...، ص.14.

128 - اليهودية والغيرية، ص.19، 172، 173، 190، 201.

وبخاصة إذا كان أكابر بني إسرائيل وعظماؤهم قبل عامتهم ودهمائهم يتزوجون باللواتي من الأغيار.

المبحث الرابع: زيجات لعظام من بني إسرائيل بغير اليهوديات

سنسلط الضوء في هذا المبحث على شخصيات وازنة في تاريخ اليهود واليهودية، وهي كذلك بالنظر إلى الانعطافات والتحولات المهمة التي أحدثتها في التاريخ والذهنية الثقافية اليهوديين.

وسنقصر ضوءنا منها على ما تعلق بزيجاتها وعلاقات المصاهرة التي أقامتها مع أعراق غير يهودية، وهي علاقات وزيجات تجعل جميع دعاوى وأطروحات الحظر تنتقض وتتهاوى.

فإبراهيم عليه السلام (أو أبرام) كما يدعوه الكتاب المقدس، وهو من هو، يتزوج من هاجر المصرية ويلد منها إسماعيل[129]. وعيسو بن إسحاق يتزوج الأجنبية يهوديت بنت بيري الحثي[130]، وعَدَّةُ بنت إيلون الحثي، وأهو ليبامة بنت عنة بنت صبعون الحوي، وبسمة بنت إسماعيل أخت نبايوت، وكلهن من كنعان[131].

---

129 - التكوين، 16: من 1 إلى 16.

130 - نفسه، 26: 34، 35.

131 - نفسه، 36: من 1 إلى 5.

والنبي يعقوب هو الآخر الذي جمع بين الأختين ليئة وراحيل يدخل بجاريتيهما الأجنبيتين؛ بِلْهَةَ وزِلْفَةُ فتلدان له[132] دان ونفتالي من بلهة، وجاد وأشير من زلفة[133]، كما صاهر يعقوب بني شكيم[134]، وملك جواري عديدة وهي التي ضاجعها ابنه البكر ففقد الحق في البكورية[135].

ويوسف ابن يعقوب عليهم السلام أو (صفنات فعنيح) يتزوج مصرية بعد ترقيته من قبل فرعون هي: أسنات بنت فوطي فارع كاهن مدينة أون[136].

أما موسى الذي تكلمت مريم وهارون عنه سوء بسبب زواجه من حبشية، فيغضب الرب لأجله ويجعل مريم برصاء كالثلج[137]، والذي يستفاد من هذا النص أن الرب راضٍ عن زواج موسى وأن أمر حظر الزواج بالأجنبيات إنما هو تلبيس للحق بالباطل.

وليس ضربا من العبث أن يفرد الكتاب المقدس سفرا بأكمله لامرأة أجنبية هي راعوث المؤابية، والتي كانت جدة النبي داود، وهو سفر يقوض وينسف أطروحات حظر

---

132 - نفسه، 30: من 3 إلى 5، والمقطعان 9 و10.

133 - نفسه، 35: من 23 إلى 26.

134 - التكوين، 34: من 1 إلى 26.

135 - أخبار الأيام الأول، 5: 1، 2.

136 - التكوين، 41: 44، 45.

137 - العدد، 12: من 1 إلى 15، وانظر أيضا: الجنس عند اليهود..، ص. 151.

مصاهرة الأجانب جميعها[138]، فهذا السفر يحوز بنظرنا كفاية تمثيلية مهمة في تأصيل مسألة جواز مصاهرة الأغيار.

ويمعن داود سليل راعوث المؤابية في مصاهرة الغوييم، إذ يتزوج أرملة نابال الكرملي، وكذا أخينوعم اليزرعيلية[139]، فيولد له منهما كيلأب وأمنون[140]، ويولد له بنون وبنات من جواري من أورشليم[141]، ويزداد إمعانا لما يدخل بتشبع زوجة أوريا الحثي[142]، وتأتيه حاشيته ومقربوه في شيخوخته بأبيشج الشونمية[143].

ولا يحيد ابن بتشبع [النبي سليمان] [144] عن سنة أبيه؛ إذ يتزوج ابنة ملك مصر[145]، كما كانت له زوجات عديدة من المؤابيين والعمونيين والأدوميين، والصيدونيين والحثيين،

---

138 - نساء الكتاب المقدس، إلياس مقار، دار الثقافة، القاهرة، [ط.2]، 1986م، ص.114 وما بعدها، و: اليهودية بعد عزرا..، ص.26، 27، و: الجنس عن اليهود...، ص.45 وما بعدها، و: تلفيق صورة الآخر، ص.201.

139 - صموئيل الأول، 25: من 40 إلى 43.

140 - صموئيل الثاني، 3: 2، 3 وينظر أيضا أخبار الأيام الأول، 3: من 1 إلى 9.

141 - صموئيل الثاني، 53: 13، و أخبار الأيام الأول، 14: 3.

142 - المزامير، مزمور 51: 2، وكذا صموئيل الثاني، 11: 27، والجنس عند اليهود، ص.53 وما بعدها.

143 - الملوك الأول، 1: من 1 إلى 4.

144 - نفسه، 1: 11، وصموئيل الثاني، 12: 24.

145 - الملوك الأول، 3: 1، و7: 8، و9: 16، 24، و11: 1، وكذا تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين، الأب متا المسكيني، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، [ط.1]، 1997م، ص.90.

بلغ عددهن سبعمائة زوجة من الأميرات وثلاثمائة من الجواري[146].

ويقرن الباحث عبد الوهاب المسيري عادة الزواج بالأجنبيات بالنبي سليمان متكئا في قوله هذا على أن بتشبع لم تكن عبرانية[147]، كما يذهب إلى أن حكم حظر الزواج من الآخر ليس مطلقا ولا ضيقا، وإنما ينطبق على العمونيين والمؤابيين وحسْب دون الأدوميين أو المصريين[148].

وإن كان المسيري أشهر من نار على علم في كل ما يتصل باليهود واليهودية والصهيونية، وهو غني عن شهادتنا، إلا أننا لا نتفق معه على الأقل في ربطه الزواج بالأجنبيات بالنبي سليمان، لأنه عادة شاعت قبل النبي سليمان بكثير، بل لا نحيد عن الصواب إن قلنا إنها ملازمة لليهودي مذ وُجد[149]، وهي نتيجة طبيعية تمليها سنن الاجتماع الإنساني.

---

146 - الملوك الأول، 11: من 1 إلى 13، وانظر أيضا: المسألة اليهودية: القبيلة، الشريعة، المكان، إيلان هاليفي، ترجمة فؤاد حديد، مكتب الخدمات الطباعية، دمشق، [ط.1]، 1986م، ص.62، و: الجنس عند اليهود...، ص.65، 66.

147 - من هو اليهودي؟، ص.21.

148 - من هو اليهودي؟، ص.19، 20.

149 - للتأكد من فشو ظاهرة مصاهرة اليهود لأغيارهم، ينظر: التثنية، 21: من 10 إلى 14، وعزرا، 10: من 16 إلى44، وأخبار الأيام الثاني، 11: من 18 إلى23، وأخبار الأيام الأول، 2: 21، والمقاطع من 34 إلى 41، ومن 46 إلى49، والإصحاح الرابع: 17، 18، ومن 21 إلى23، والملوك الأول، 16: 30، 31، والقضاة، 3: 5، 6، و8: 31، و9: 22، و14: من 1 إلى10، و16: 4، واللاويين، 24: من 10 إلى16، و: الحضارات السامية القديمة، سبْتينو موسكاتي، ترجمة سيد يعقوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، [د.ط]، ص.140.

وننتهي من خلال الذي تقدم إلى أن منع زواج اليهود بغير اليهوديات تشريع حاخامي [عزرا، نحميا، ملاخي] محض لا علاقة له بأوامر الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يقول به كثير من الباحثين[150].

وتسْلمنا هذه الخلاصة إلى مناقشة واختبار مقولة صفاء / خلوص بني إسرائيل، وهذا ما سنقوم به في المبحث الموالي.

المبحث الخامس: مناقشة مقولة صفاء/خلوص بني إسرائيل

يقول الرب لحزقيال: «(...) يا ابن البشر صار لي شعب إسرائيل خليطا؛ فجميعهم نحاس وقصدير وحديد ورصاص في الكور بعد انصهار الفضة[151]. لا يشتط قول الرب هذا عن حقيقة بني إسرائيل؛ فهم الذين ساكنوا اليبوسيين[152]، والكنعانيين[153]، وخالطوا مختلف الأمم[154]، كما أن كثيرا من

---

150 – تلفيق صورة الآخر، ص.184، و: اليهودية بعد عزرا...، ص.16، 55، و: مفاهيم تلمودية...، ص.37، و: المرأة اليهودية...، ص.118.

151 – حزقيال، 22: 17، 18.

152 – يشوع، 15: 63.

153 – نفسه، 16: 10، و17: 12.

154 – المزامير، مزمور 106: 35، 36، و: الجنس عند اليهود...، ص.94، 211، و: الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، علي الشوك، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 1989م، [ط.2]، ص.15، و: تاريخ إسرائيل...، ص.32، 33.

الأغيار سُبوا مع الإسرائيليين «الأصلاء»[155]، وحاربوا إلى جانب القائد داود[156].

ولهذا فزعم نحميا تطهير الشعب الإسرائيلي من الغرباء[157] باطل ومحض افتراء، خاصة لما نعلم أن نحميا نفسه يقر بثبوت تعامل اليهود مع غيرهم[158]، وأنه كان يؤاكل الأجانب[159]، فضلا عن أن الشعب الإسرائيلي بعد السبي حفل بالكثير من الذين لم يستطيعوا إثبات نسبهم اليهودي، بما فيهم الكهنة الذي تقدمهم مقولات اليهود الثقافية بوصفهم خُلَّصًا!! [160].

وفي السياق نفسه يذهب غوستاف لوبون إلى أن بني إسرائيل ليسوا سوى أخلاط من عصابات جامحة ومجموعات غير منسجمة من قبائل سامية صغيرة أفاقة[161]، ويذهب الباحث عبد الوهاب المسيري هو الآخر المذهب نفسه معتبرا الهويات اليهودية تركيبا جيولوجيا تراكميا، إنما ليس ملحوظا بسبب انفصال الجماعات اليهودية وتفرقها في العالم[162].

---

155 - عزرا، 2: من 61 إلى 63.

156 - أخبار الأيام الأول، 11: من 10 إلى 47، و12: من 24 إلى 41.

157 - نحميا، 13: 30.

158 - نفسه، 13: 16، 17.

159 - نفسه، 5: 17.

160 - نحميا، 7: من 61 إلى 67.

161 - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، [د.ط]، [د.ت]، ص.32.

162 - من هو اليهودي؟، ص.16، وكذا: المسألة اليهودية مجددا (مفاهيم، تاريخ...وآفاق)، د.عبد الصمد بلكبير، في مجلة الملتقى، [ع.3]، السنة الثالثة، 1999م، دار الملتقى، مراكش، ص.15، 16.

وهذا يعصف بمقولات الصفاء ويجعلها زيفا وكذبا صراحا[163]، ويجعلنا نتأكد، وبما لا يدع مجالا للشك لدينا، من أن أبا أورشليم أموري وأن أمها حثية، أي إنها مختلطة لم تزَل، لأنه لا يصفو إلا الوحشي مثلما يقول ابن خلدون، أما الإنسان الذي ينزع إلى الاجتماع بطبعه فيخالط ويصاهر غيره كيما يعمر الأرض ويستحق خلافة الله سبحانه وتعالى.

كما ننتهي أيضا إلى أن «العهد القديم» هو الآخر يكاد يساوي ما يدعوه الباحث محمد بنيس «لحظة الأدب»[164]؛ فبالإضافة إلى أنه يعتبر عمدتنا في التدليل على تهافت أطروحات الصفاء والنقاء، يظل كتابا يتساوق وزُعُومَنا في هذا البحث بالنظر إلى كونه يستقطب حقولا معرفية مترامية الأطراف؛ من تاريخ، ولغة، وحضارة، وحفريات... الخ.

163 - اليهود بين الدين والتاريخ دراسة للجوانب العقائدية والتاريخية عند بني إسرائيل، صابر عبد الرحمن طعيمة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، [ط.1]، 1972م، ص.609، وللمزيد من التفصيل في تهافت مقولة صفاء اليهود، ينظر: اليهود واليهودية، د.عبد الجليل شلبي، دار أخبار اليوم، [د.ط]، [د.ت]، ص.79، و: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، جودت السعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، [ط.1]، 1985م، ص.76 وما بعدها.

164 - الحداثة المعطوبة، دار توبقال للنشر، [ط.1]، 2004م، ص.84 وما بعدها.

خاتمة

وبعد هذه الدراسة التي أردنا لها أن تجمع بين القراءة اللصيقة المحايِثة والتحليل والنقد، والتي حاولنا فيها قدر الإمكان أن لا نقع في مطب التقول على «العهد القديم»، الذي ينهض عادة على التحيزات الثقافية التي تغمط الآخر حقه، ليس في إحقاق الحق المبثوث في ثنايا كتبه المقدسة ونصوصه الدينية فحَسْبُ، وإنما تروم وفي أحيان كثيرة سلبه حقه في الوجود، والاستئثار بكل شيء دنيا وأخرى!!

فقد كان ديننا في مقاربة مباحث ومطالب هذه الدراسة، النظر إلى الآخر [آخرنا أي اليهود] باعتباره شريكا لا مندوحة لأغياره عنه، مهما كانت الذرائع والتعلات في بناء ما هو إنساني وكوني، أو ما يسميه هانز كينج «مشروع الأخلاق الكوكبية»[165]، الكفيل بتقريب المسافات وردم الفجوات بين

165 - الإسلام شريكا دراسات عن الإسلام والمسلمين، فريتس شتيبات، ترجمة د.عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم 302، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل 2004، ص.70.

الثقافات والأديان وتعبيد سبل الحوار الجاد الذي أصبح «مسألة حتمية»[166] تلح على الإنسانية قبل أن يكون «تصرفا سياسيا سليما»[167].

وتتكىء نظرتنا هذه التي نتوسم في القارئ حَزْرَها والتوصل إليها على الاستهداء ببعض الحق الذي تحويه بعض نصوص العهد القديم وأسفاره باعتبارها إبراقات تجلو سؤال الإنسان في نص اليهود المؤسِّس، وتعين على نخل الكلم الباطل الملبَّس حقا، وعلى استبيان ذلك المحرف من بعد مواضعه بما يسهم في المحصلة الأخيرة في إعادة ترميم العهد القديم واستيلاد نظرة ثقافية إليه تَسِمُها الجِدة لكن لا تنأى عن الإنصاف.

وقد أثمرت دراستنا هاته جملة أمور نقررها في التالي:

• فيما يتصل بمفهوم اليهودي، ومن يكون، يبدو أن مختلف التحديدات يغلب عليها ما هو عرقي بيولوجي وطهراني، وقلما تحتكم إلى اعتقاد الشخص في اليهودية، ولكن تحديدات من هذا القبيل تعصف بيهودية كثيرين من خاصة بني إسرائيل؛ كداود وسليمان ورحبعام..الخ.

---

166 - في أهمية الدرس المعرفي، عبد الوهاب المسيري، في مجلة إسلامية المعرفة، [ع.20]، السنة الخامسة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ربيع 1421هـ / 2000م، ص.126.

167 - الإسلام شريكا..، ص.68.

• أما فيما يتصل بماهية الذي أريد له أن يكون غريما لا ندا وعبدا خادما أبدا، أي الغُوي / الأجنبي، فينصرف مفهومه إلى غير اليهودي عرقا وبإطلاق ومهما كانت عقيدته أو مذهبه، إنما تجاذبه في العهد القديم خطابان متنافران وعلى طرفي نقيض:

1 - أحدهما مجحف يقوم على ثنائية اليهودي المقدس والآخر المدنس، كما لا يتورع عن إلحاق أقذع النعوت والصفات بالأجنبي؛ فهو نجس ومخادع ووثني ويشكل امتدادا للشيطان، وهو بمنزلة البهيمة أو أرفع عنها بقليل. وقد تفنن هذا الخطاب في هذا وعمل على توهيم المؤمن اليهودي وإقناعه بأن من لم يدخر جهده في إيذاء هذا الآخر مأجور مثاب!!

2 - والثاني منصف يكرم الأجنبي ويستنكر اضطهاده دون وجه حق، ويدخله في عداد شعب إسرائيل وفي العهد الذي قطعه «الرب» مع عباده حتى لا يكاد القارئ يلحظ فرقا بين «الأصيل» و«الدخيل».

• وعن الزواج اتضح لنا أنه يحوز وضعا اعتباريا مهما في التداول اليهودي، وإليه ترتد النظرة المكرمة للمرأة اليهودية المنجبة، مقابل تلك التي تستصغرها وتحتقرها وتعمل على تشييئها ولعنها بوصفها أصل الخطيئة.

• ويُنظر إلى المرأة الأجنبية على أساس أنها العامل الرئيس للغواية وإمالة قلوب المؤمنين عن عبادة الله إلى عبادة

ما عداه من الأوثان، فضلا عن أنها تنغمس في الرذيلة ولا تكاد تحتفل بعرضها.

• وقد افتعل الخطاب الملَبِّس والمعتم هذه الصورة النمطية للمرأة الأجنبية لينشئ أحكاما تحظر زواج اليهودي بها وتجعله محرما، وهذا كما أومأنا إليه في المبحث الرابع من الفصل الثاني مجرد تشريع حاخامي يشتط عن شرع الله الحنيف، بدليل أن أنبياء بني إسرائيل وهم المعنيون الأوائل باتباع أوامر الله كيما يُحتذى ويُتأسى بهم، خالطوا الأغيار وصاهروهم وأمعنوا في ذلك أيما إمعان.

• وتُسْلِمنا هذه الخلاصة إلى نظيرة لها رديفة نذهب فيها إلى أن اليهود ليسوا بدعا من الإنسانية، وإنما تحكمهم سنن وقوانين الاجتماع الإنساني المعروفة والقاضية بالامتزاج والاختلاط والانصهار حتى، مما يجعل مقولات الصفاء والنقاء العرقي موغلة في الكذب والتجديف على الخلق.

وفي ختام هذه الخلاصات لا نزعم لبحثنا الإحاطة والشمول، بل حسبنا أن نَلْفِتَ النظر إلى أهمية الموضوع الذي طرقنا إشكالاته وقضاياه، باعتبار أن تجلية أباطيله وإحقاق حقه يرفد عملية الحوار المستندة على الرؤية الواضحة والقاطعة مع المسبقات المعيارية والصور النمطية الحائلة دون توسيع دائرة المشترك بين الأديان والثقافات.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- *أثر اختلاف الدين على الزواج المختلط في النظام القانوني المغربي*، الحسين بلحساني، المجلة المغربية للاقتصاد والقانون، [ع.5]، 2002م.
- *الأدب والمؤسسة نحو ممارسة أدبية جديدة*، سلسلة كتاب الجيب، الكتاب 12، منشورات جريدة الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، مارس 2000.
- *الإرث عند اليهود المغاربة*، جول كريكر في المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية، [ع.1]، 1935م، الرباط.
- *الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة*، علي الشوك، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 1989م، [ط.2].
- *إسرائيل والتلمود، دراسة تحليلية*، إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة، [د.ط]، 1410هـ/ 1990م.
- *الإسلام شريكا دراسات عن الإسلام والمسلمين*، فريتس شتيبات، ترجمة د.عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم 302، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل 2004.

• *ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ*، ثقافة، دين، حاييم الزعفراني، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، [ط.1]، 1987م.
• *تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين*، الأب متا المسكيني، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، [ط.1]، 1997م.
• *تاريخ اليهود*، أحمد عثمان، [ج.2]، مكتبة الشروق، القاهرة، [د.ط]، [د.ت].
• *تلفيق صورة الآخر في التلمود (يسوع والعرب والمسحيين والأميين)*، زياد مني، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، [ط.1]، 2002م.
• *التمييز ضد غير اليهود في (إسرائيل) مسيحيين كانوا أم مسلمين*، سامي عوض الذيب أبو ساحلية، ترجمة: د.ماري شهرستان، الأوائل، [ط.1]، تموز 2003م
• *التوراة تاريخها وغاياتها*، ترجمة وتعليق سهيل ديب، دار النفائس، بيروت، [ط.1]، 1392هـ / 1972م.
• *الجنس عند اليهود وأخبار النساء الصالحات والفاسدات من بني إسرائيل*، أحمد أحمد علي السقا، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، [ط.2]، 2004.
• *الحداثة المعطوبة*، محمد بنيس، دار توبقال للنشر، [ط.1]، 2004م.
• *الحضارات السامية القديمة*، سبُتينو موسكاتي، ترجمة سيد يعقوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، [د.ط].
• *الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة* 3000 عام، إسرائيل شاحاك، ترجمة رضا سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، [ط.8]، 2004م.

- *الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود*، إسرائيل شاحاك، ترجمة، حسن خضر، سينا للنشر، القاهرة، [ط. 1]، 1994م.
- الرئيس موسى بن ميمون (أبو عمران) وتعاليم التلمود، د. محمد علي البار، في *المنهل*، [ع. 561]، [مج. 61]، العام 65 رجب 1420هـ/ أكتوبر ونونبر 1999م
- *زواج مختلفَيْ الدين من منظور الإسلام وسائر الأديان*، محمد إبراهيمي، ترجمة صفاء الخزرجي، الغدير، بيروت، [ط. 1]، 1424هـ/ 2003م
- *الشخصية اليهودية عبر التاريخ*، جودت السعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، [ط. 1]، 1985م.
- *العلاقات الخاصة بين المسلمين وغير المسلمين*، بدران بدران أبو العينين، مكتبة دار التأليف، [د. ط]، [د. ت].
- *العوائد العتيقة اليهودية بالمغرب من المهد إلى اللحد*، إيلي مالكا، الملتقى، [ط. 2]، 2003م.
- *الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات*، عبد المجيد همو، الأوائل، [ط. 1]، 2003م.
- *فضح التلمود: تعاليم الحاخامين السرية*، الأب آي. بي. برانايتس، إعداد زهدي الفاتح، دار النفائس، [ط. 3]، 1405هـ/ 1985م.
- *الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه*، حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، دار العلوم والثقافة، بيروت، [ط. 2]، 1407هـ/ 1987م.
- *في أهمية الدرس المعرفي*، عبد الوهاب المسيري، في مجلة إسلامية المعرفة، [ع. 20]، السنة الخامسة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ربيع 1421هـ/ 2000م.
- *قاموس المذاهب والأديان*، د. حسين علي حمد، دار الجيل، بيروت، [ط. 1]، 1419هـ/ 1998م.
- *المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات*، علي حسن ديب،

الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، سورية، دمشق، [ط.1]، 2000م.

- *المرأة في الكتب السماوية*، جبارة البرغوثي، دار كنعان للدراسات والنشر، [ط.1]، 1997م.
- *المسألة اليهودية مجددا (مفاهيم، تاريخ... وآفاق)*، د.عبد الصمد بلكبير، في مجلة الملتقى، [ع.3]، السنة الثالثة، 1999م، دار الملتقى، مراكش.
- *المسألة اليهودية: القبيلة، الشريعة، المكان*، إيلان هاليفي، ترجمة فؤاد حديد، مكتب الخدمات الطباعية، دمشق، [ط.1]، 1986م.
- *معجم اللاهوت الكتابي*، أشرف على الترجمة ونظمها علميا: نيافة المطران أنطونيوس نجيب، دار المشرق، بيروت، [ط.3]، 1991م
- *مفاهيم تلمودية، نظرة اليهود إلى العالم*، عبد المجيد همو، مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي، الأوائل، [ط.1]، 2003م.
- *مقارنة الأديان* 1: *اليهودية*، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، [ط.10]، 1992.
- *من هو اليهودي*؟، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، [ط.1]، 1418هـ/ 1997م.
- *منهاج رابي يوسف، ألبو في أصول الدين وصلتها بنظريات أبْنَيْ جيله*: رابي سداي كرشكش ورابي شمعون بن تسيماح دوران، د.مائير فاكسمان، في مجلة المحجة، [ع.15]، معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، شتاء 2007م / 1428هـ.
- *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد*، عبد الوهاب المسيري، [ج.2]، دار الشروق، القاهرة، [ط.1]، 1999م.
- *نساء الكتاب المقدس*، إلياس مقار، دار الثقافة، القاهرة، [ط.2]، 1986م.

- *نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين: الجماعات البدائية بنو إسرائيل*، ثروت أنيس الأسيوطي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، [د.ط]، [د.ت].
- *نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام*، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، أبريل 2000م.
- *نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية*، د. محمد شكري سرور، دار الفكر العربي، 1979 / 1978، [د،ط].
- *النظام القانوني للأسرة في الشرائع غير الإسلامية*، د.محمد حسين منصور، منشأة المعارف، الإسكندرية، [د.ط]، 1983.
- *النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، محمد عبد الله الغذامي، منشورات المركز الثقافي العربي، [ط.1]، 2000م.
- *نماذج من شعر الملحون المغربي بالعربية اليهودية*، د.عبد العزيز شهبر، في مجلة كلية الآداب بتطوان، [ع.6]، 1993م.
- *اليمين عند إسرائيلي ناحية ميدلت*، تعريب السيد العقباني الحاج حميدة، المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الأهلية، [ع.5]، 1938 / 1937م.
- *اليهود الحيسيديم: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، تقاليدهم*، د.جعفر هادي حسن، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، [ط.1]، 1415هـ / 1994م.
- *يهود المغرب والأندلس*، حاييم الزعفراني، ترجمة أحمد شحلان، [ج.2]، مرسم الرباط، النجاح الجديدة، 2000، [د.ط].
- *اليهود بين الدين والتاريخ دراسة للجوانب العقائدية والتاريخية عند بني إسرائيل*، صابر عبد الرحمن طعيمة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، [ط.1]، 1972م.
- *اليهود في المغرب*، ماهر سمك، *كتاب الحرية*، رقم 42، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، [ط.1]، 1419هـ / 1998م

- *اليهود في تاريخ الحضارات الأولى*، غوستاف لوبون، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، [د.ط]، [د.ت].
- *اليهود واليهودية*، د.عبد الجليل شلبي، دار أخبار اليوم، [د.ط]، [د.ت].
- *اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت*، عبد المجيد همو، مراجعة وتدقيق إسماعيل الكردي، الأوائل، [ط.1]، 2003م.
- *اليهودية والغيرية*، غير اليهود في منظار اليهودية، ألبيرتو دانزول، ترجمة د.شهرستان ماري، دار الأوائل، دمشق، [ط.1].
- *اليهودية*، عبد الفتاح حسين الزيات، مركز الراية للنشر والإعلام، [ط.1]، 1998م.

فهرس المحتويات

تم الطبع بمطابع أفريقيا الشرق 2014
159مكرر، شارع يعقوب المنصور، الدار البيضاء
الهـاتـف :04 95 25 0522 / 13 98 25 0522
الفـاكـس :20 29 25 0522 / 80 00 44 0522
مكتب التصفيف الفني 39، زنقة علي بن أبي طالب
الهـاتـف : 54 / 53 67 29 0522
الفـاكـس : 72 38 48 22 05
البريد الإلكتروني :E.mail : africorient@yahoo.fr
www.afrique-orient.com
الدار البيضاء